روايات غادة

غادة

# دموع العذارى

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

روايات غادة

# دموع العذارى

جنيفر ثورب

ماذا لو لم يكن باتريك يهتم بها؟ صحيح انه قال لها انها جميلة، غازلها قليلاً، لكن هذا لا يعني انه يحبها..

لا شك ان هناك العديد من النساء دخلن حياته وخرجن دون أن يتركن أثراً.. فلماذا تكون هي مختلفة ؟

وحده الزمن قد يجلي الأمور.. لكن.. أيمكن لدايان ان تعرف كم من الزمن لديها معاً ؟


يطلب من مكتبة الصفاء
ابو ظبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

يطلب من دار إحياء العلوم
الدار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 564785

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظمني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

روايات غادة

www.elromancia.com

جنيفر ثورب

# دموع العذارى

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

## ١٠

# الفتاة الواقعية

وقفت دايان ترفع رأسها، وتراقب الخطوط الرفيعة من الغيوم في السماء، والتي تبدو وكأنها تمسح القمة الخشنة لجبال بينيانيز. . . ولقد حصلت المنطقة على موسم شتاء جيد منذ أوائل الربيع. . وكانت حيثما تنظر تشاهد البساط الأخضر ينتشر فوق الأرض. . يمكن لها ان تقف هنا، ساعات طويلة، تحدق بالجبال. . لكن والديها بالانتظار في غرفة الجلوس. . ووالدتها لم تكن بطبيعتها امرأة صبورة .

لم يكن قد مرّ على وصولها إلى منزل والديها أكثر من نصف ساعة، بعد رحلة من لندن استغرقت ثلاثة ساعات. في سيارة خطيبها ميتشل سترنغر «الروفر» الفخمة. . لطالما رغبت دايان بخطوبة هادئة تشارك أفراح العائلة في المناسبة فقط. . لكن أمها مانعت بشدة، وأيدهها بذلك أهل ميتشل. . يجب ان تكون الخطوبة مناسبة مفرطة في السخاء يحضرها ما يقارب المئة شخص ويجب ان تتم في «ريدج واي» فريدج واي تحتوي على غرفة طعام كبيرة وكأنها قاعة البلدية، أبوابها الزجاجية

العريضة تصل إلى كرّاس واسع، أمامه مرجات خضراء مائلة إلى الأسفل. . أي ان المنزل في الواقع يحتوي على غرف تكفي لاستقبال عدد مضاعف عن عدد المدعوين . . لكن هذا لم يكن بالضبط ما كانت دايان تحلم به لها ولميتشل .

تعرفت دايان على ميتشل منذ ثمانية عشر شهراً . . التقيا بعد فترة قصيرة من بلوغها الواحدة والعشرين . . ومنذ ذلك الوقت بذل جهده لاقناعها بالزواج منه . . لكنها بداية كانت مترددة ان تربط نفسها . . فلديها وظيفة جيدة كمديرة مكتب في مؤسسة محاماة، ولها شقة جميلة تصل على الهايد بارك بمساحاتها الجميلة . وسيارتها السريعة الصغيرة تأخذها إلى حيث تشاء . وكانت تتمتع بحريتها، تعلم ان الوقت قادم لتفكر بالاستقرار لذا لم تكن مستعجلة .

ميتشل كان يختلف عمن كانت تختلط بهم من الرجال، وأكثر إصراراً على ملاحقتها . . كان في الثامنة والعشرين، لكنه لم يظهر لها يوماً اهتماماً خارجاً عن الحشمة كما يظهره مثله من الشبان . وربما كان هذا أحد الأسباب التي جعلتها تنجذب إليه . . كما انه شاب يتحدر من عائلة ثرية لها نفوذها ويشق طريقه في مؤسسة أبيه الصناعية . . . يحب الخيل ويتمتع بالسباق حين يحتاج إلى إثارة . . . لكنه مع حيويته وانطلاق الشباب فيه، أوضح منذ البداية اهتمامه فقط بالزواج . . فهو يحبها، كما كان يقول لها، عقلانياً وجسدياً وبامكانه الانتظار إلى ما بعد الزواج .

رفعت ابتسامة زوايا فم دايان . . . فبعد حفنة من الأصدقاء، لا شيء في ذهنهم سوى العبث، بدا لها ميتشل غريب الأطوار مثير للاهتمام في البداية . . صحيح انهما فكرياً في نفس المستوى، وفي صحبته وجدت ان بإمكانها التنفس بسهولة أكبر، والتخلي عن حذرها، والانطلاق على سجيتها . . . وهذا شعور مريح بكل تأكيد . . ولقد تقبل واقع انها



بحاجة إلى وقت للتفكير بمشاعرها نحوه . . وانتظر بصبر مميز إلى أن أصبحت مستعدة لربط نفسها به .

أهلها وافقوا عليه منذ البداية، وخلال السنة ونصف الماضية أصبح زائراً معتاداً في «ريدج واي» لأنه أساساً أصر على ان الرحلة طويلة جداً عليها لتقوم بها وحدها كل أسبوع . . . وتمتعت بقلقه عليها، وأحست بالسعادة لأن تريه الأماكن السرية في المزرعة، التي لعبت فيها في طفولتها .

مزرعة «ريدج واي» تقع عند أقدام جبال بينينيز العظيمة في منتصف الجزيرة البريطانية، بقممها المرتفعة ووديانها العميقة الخصبة . . منزلها الذي أحبته جداً وهي طفلة، لكن للدينة نادتها، مع توقعات المستقبل، فتركت المزرعة لتضع لنفسها عشاً في لندن، وتعود إلى منزل أبويها خلال عطلات نهاية الأسبوع التي كانت تتطلع إليها بشوق دائم وها هي الآن قد عادت إليها لتقيم حفلة خطوبتها لميتشل سترنغر .

تركت دايان غرفتها بعد دقائق من تغيير ملابس السفر، إلى فستان حريري جذاب التصميم . . . وبمرورها قرب غرفة الضيوف، وجدت ميتشل يقف قرب النافذة يحدق بالجبال كما كانت تفعل منذ قليل . واستدار لسماع وقع أقدامها الخفيفة فوق سجاد غرفته :

ـ لأهلك منزل جميل دايان . . . . منظر الجبال رائع من هنا . ولطالما أحببت مثل هذه المناظر .

ردت بابتسامة دافئة :

ـ وأنا كذلك أحس بنفس الشيء .

ـ تعالي إلى قربي .

ـ ليس الآن ميتشل .

لكنها لم تحتج كثيراً حين وجدت نفسها بين ذراعيه بل قالت هامسة :

ـ أهلي بانتظارنا .

ـ فلينتظروا قليلاً بعد .

وضمها إليه بدفء وثبات، لكن دون ذلك الاحساس المثير المتطلب الذي كانت تكرهه ممن عرفتهم من شبان .

استرخت دايان إليه، ولفت ذراعيها حول عنقه كي تترك لأصابعها الحرية في مداعبة شعره الأشقر الناعم. فاشتدت ذراعاه حولها فوراً تشدها لتلتصق به أكثر. وتنهد :

ـ لا استطيع تصديق حظي . . أمضيت زمناً طويلاً وأنا أحاول إقناعك بالزواج مني، حتى انني أجد صعوبة في التصديق انك موافقة .

رفعت رأسها إليه بطريقة مثيرة :

ـ احتجت إلى وقت للتفكير .

ـ والآن ؟

ـ أظن انني اتخذت القرار المناسب .

ـ تظنين؟

ـ حسناً . . . حبيبي . . . أنا واثقة . . . ايجعلك هذا تحس بسعادة أكبر؟

ـ أحبك دايان .

لم تتغير بسمتها . . لكنها داخلياً أحست بالاضطراب «أحبك» كلمة لن تتمكن أن تقولها له . . وأغلقت الستارة عن تفكيرها المزعج لتقول :

ـ والداي سيبدءا بالبحث عنا بعد قليل إذا لم نصل فوراً إلى غرفة الجلوس .

تنهد ميتشل .

ـ آه . . . حسناً . . من الأفضل ان ننضم إليهما .



حين دخلا غرفة الجلوس الواسعة بعد دقائق . . . . لم تظهر ريبيكا وجاكوب ويلمر أي دليل على نفاد صبرهما ووقف جاكوب فوراً ليقول :

ـ هل أقدم لك العصير ميتشل ؟

ـ هذا رائع . . شكراً لك .

انضمت دايان إلى أبيها قرب الثلاجة المركزة داخل الجدار .

ـ سأساعدك في صب عصير البرتقال إليّ .

حين جلست قرب أمها على الصوفا، قالت ريبيكا :

ـ نظمت كل شيء لأمسية الغد .

لكن دايان، كانت تصغي إليهما دون أن تستوعب وقامت بالردود المطلوبة، لكن أذنيها كانتا تتجهان صوب ميتشل وأبيها لالتقاط حديثهما . . . ثم قاطعتهما بفضول :

ـ ماذا كنت تقول عن عالم في المزرعة، أو ما شابه، أبي؟

ـ كنت أحدث ميتشل عن عالم زراعي يخيم في أطراف مزرعتنا . . . اسمه باتريك أولينشو .

قطبت دايان :

ـ لم أسمع به من قبل . وما الذي جعله يتوقف في «ريدج واي»؟

ـ لقد راقته المناظر هنا، وطلب الإذن في تفحص الحياة الزراعية . . . ووجدته شاباً لطيفاً، فوافقت .

ـ ومتى وصل؟

ـ يوم الجمعة الماضي .

ـ وكم سيبقى؟

ـ لست أدري . . ربما شهر أو اثنين . . .

تدخل ميتشل بمزاج غريب من المزاح والشك :

ـ تظهرين اهتماماً كبيراً . بعالم النبات هذا . . . أواثقة انك لا

تعرفينه .

ضحكت :

ـ لا تكن سخيفاً، تعرف أن لي اهتماماً بالطبيعة . . . لذا من الطبيعي ان أهتم به .

قالت ريبيكا بابتسامة لطيفة :

ـ انه ينصب خيمته في البقعة المحمية عبر الساقية . وهو لا يشكل إزعاجاً أبداً . . يصنع وجباته بنفسه، ويغسل بنفسه .

علق ميتشل، بطريقة من ينظر من طرف أنفه إلى شخص آخر :

ـ لا بد انه شاذ .

أحست دايان بلمحة الإهانة وراء كلامه، فوجدت نفسها منزعجة من سبب مجهول، وردت بحدة :

ـ كيف تقول هذا؟ أنت لا تعرف الرجل حتى !

رد ميتشل بإصرار :

ـ العلماء عادة شاذون .

وجدت دايان نفسها تدافع بحدة عن رجل لم تلقه أبداً :

ـ كونك تعرف بعض العلماء الملتحين الشاذين الذين يعيشون في عزلة عن الناس لا يعني ان هذا الرجل بالضرورة ان يكون مثلهم .

ضحك بارتياح :

ـ كنت أمزح دايان . . لا تقطعي رأسي أرجوك !

تدخل الأب :

ـ لا شيء شاذ حول باتريك أولينشو، أؤكد لك، مررت بمقطورته بالأمس . . وهي مرتبة نظيفة بشكل مميز .

سألت دايان :

ـ أهناك إمكانية للقاءه أبي؟



ـ لا أظن . . فهو متحفظ و . . . . .

قاطعت أمها الحديث :

ـ أفضل أن تبقي بعيده عنه دايان . . اعترف ان من المثير أن يكون عالم يدرس الحياة النباتية في المنطقة . . لكنه رجل غريب ولا يمكن للمرء ان يثق بهذا النوع من الرجال .

ـ آوه . . لأجل الله أمي . . تجعلين الرجل يبدو مخيفاً دون أدنى دليل .

ـ رد الأب على مضض ظاهر :

ـ أمك محقة . . فنحن لا نعرف الرجل عدا ما نراه منه . . . وحتى نعرفه أكثر، من الأفضل الابتعاد عنه .

فتحت دايان فمها لترد، لكن صوت اقتراب سيارة أصمتها وقالت ريبيكا :

ـ لا بد انها والداك ميتشل :

ابتسم ميتشل :

ـ وصلا إذن في وقت جيد .

لحق ميتشل بريبيكا، وتبعهما جاكوب وابنته، ليشاهدا سيارة الجاكوار الكبيرة الفخمة تقف وراء سيارة ميتشل الروفر . . . ماريون وآدم سترنغر، نوع من الأشخاص تتعلق بهم والدة دايان . . فلهما الثروة والمركز، وهذان مقومان رئيسيان في نظر ريبيكا ويلمر . . . فاستقبلتهما مع ابنتها لوسي، بامتيازات تحتفظ بها لمثل هذه المناسبات .

كانت لوسي، الشقراء السوداء العينين كأخيها الوحيد التي لم تكن تشارك، إضافة إلى دايان، بالحديث الدائر في غرفة الجلوس ذلك المساء . . . وحين اختلت الفتاتان لوحدهما قبل الإيواء إلى الفراش، اكتشفت دايان سبب صمت الفتاة . فقد قالت لوسي وهي تلحق بها إلى

المطبخ لصنع القهوة للجميع قبل النوم :

ـ لا بد انك مهتاجة الأعصاب بالنسبة لأمسية الغد .

ـ أجل . . . اعتقد هذا .

ـ لا تبدين واثقة .

ـ بلى . . . أنا واثقة .

ـ قلت لميتشل يوماً انه يضيع وقته ، فلن تتزوجي منه أبداً .

ارتجفت دايان لهذا الكشف ، لكنها أخفت اضطرابها خلف بسمة وجهتها إلى الفتاة التي وقفت تستند إلى خزانة المطبخ :

ـ هذا يبرهن كم يكون المرء مخطىء أحياناً .

ـ لكنكما لم تتزوجا بعد .

أجفلت دايان ونظرت بثبات إلى لوسي :

ـ أنت لم تحبيني منذ البداية . . . ولطالما تساءلت لماذا . . . هل فعلت لك شيئاً كي تكرهيني هكذا ؟

هزت لوسي كتفيها ، وأبعدت خصلة شعر عن وجهها :

ـ أنت فقط ، لست مناسبة لميتشل . . . أحس بهذا .

ـ ألا تظنين ميتشل كبير بما يكفي ليقرر هذا بنفسه ؟

ـ أخي أحمق بالنسبة للنساء .

ضحكت لوسي بسخرية ثم أكملت :

ـ حبه لك يعميه ، ويتصور انك تحبينه كذلك . . . لكنك لا تحبينه . . صحيح ؟

لم تكن الفتاة تسأل ، بل تقرر أمراً واقعاً ، فاستاءت دايان :

ـ أنا متعلقة بميتشل . . . وأظن اننا معاً ، سنصنع زواجاً ناجحاً . وإذا كنت تتوقعين ان تجديني سابحة فوق غيمة خيالية ، فسيخيب أملك . . فأنا واقعية ، وأفضل مواجهة المستقبل وقدماي ثابتتان في



الأرض .

ـ ما تقولينه يعني انك لا تؤمني بالحب ، وكل ذلك الهراء العاطفي .

وبختها دايان بحدة :

ـ لا تفسري كلامي كما يحلو لك .

ـ لكنها الحقيقة . . . أليس كذلك ؟

ـ أنا أؤمن بالذهاب نحو الزواج وعيناي مفتوحتان ، بدلاً من السماح لنفسي بالانخداع بعواطف زائفة غير ثابتة . . أنا أعرف ما سأفعل ، وكذلك ميتشل .

ـ حسناً . . . كل ما استطيع قوله ، ولمصلحتك أنت ، انني أرجو ان تكوني عارفة بما ستفعلي .

لوت لوسي فمها بابتسامة خبيثة ، ثم خرجت من المطبخ لتنضم إلى الآخرين ، تاركة دايان متوترة بشكل غريب .

تلك الليلة ، استلقت صاحية في الظلام . . حديثها مع لوسي يدور بازعاج في رأسها . . الحب ! ما هو الحب ؟ انه شعور فارغ لا يبدو أن أحداً قادر على تفسيره بالتفصيل . . . .

الرغبة ؟ أجل . . . الرغبة شعور تمكنها ان تفهمه حتى مدى محدد ، لكنها لا تحب التفكير به كثيراً . . فللكلمة رنين منحرف . . وبكل تأكيد ، ما من زواج يمكن له ان يدوم إذا كان أساسه الرغبة لوحدها . . . أيمكن هذا ؟

منزل ويلمر «ريدج واي» كان قفيراً من النشاط صباح السبت حين خرجت دايان إلى الترّاس لتجد ميتشل يتمدد على كرسي خيزران طويل ، يحمل مجلة قديمة . . . وبرغبة في ان تضع قدر ما تستطيع من مسافة بينها وبين المنزل ، ولو لفترة قصيرة ، قالت له :

ـ فلنخرج في نزهة .

تـآوه كارهـاً :

ـ أيجـب؟

ـ لا تكن كسولاً . انه يوم جميل، والحقول هادئة .

ارتفـاع الأصوات، وامـتزاجها مـع أصوات آنيـة الطعـام والشراب تقرقع وهي توضع فوق بعضها في أكوام، تناهت بقوة إلى التراس وكـأنما لتؤكد كلامهـا . فضحك ميتشـل وهو يـرمي المجلة إلى الطاولـة قربـه، ويضع يديه على ذراعي المقعد، ويقف .

ـ أنت محقة حول الهدوء في الخارج .

وربط ذراعـه بذراعهـا، ليسيرا نـزولاً عن السلم الحجري ويقـطعا المرجة الندية الخضراء الممتدة كبساط أخضر رطب تحت أقدامهما قبل أن تجففها شمس الصباح .

ـ إلى أين تريدين السير ؟

ـ وهـل يهـم ؟

ـ لست أهتم في الواقع . . المهم انك معي .

والتفت ذراعه حول خصرهـا، ثم تابعـا سيرهمـا وأخذتـه دايان في استدارة طويلة تعود بهما في النهـاية إلى المنـزل، مع انها لم تكن مستعجلة للعودة إلى هناك . الهواء كان نـظيفاً نقيـاً، والعصافـير تقفز بنشـاط بين الأشجار كانت تفتقد العصافير وهي في لندن، لكن سعادتها في الاصغاء إلى زقزقتها حين تأتي إلى «ريدج واي» كان أمراً مميزاً إليها .

كانت الماشية ترعى بكسل في الحقول، وجودها يزيد في جمال المنظر، ورائحة الأرض الرطبة المألوفة كانت تدغـدغ أنفها، من الجيـد ان تبعد عن أسمنت المدينة وفولاذها، عن الأصـوات وزحام السـير والسكان، وعن العجلة في كـل اتجـاه ولا اتجـاه بشكـل محـدد . . . وتنفست عـدة أنفـاس عميقة من الهـواء النقي الحلو، متمنية ان لا تضـطر ثانيـة لـترك



مزرعة أبويها .

لطالما تساءلت دايان عن مشـاعر ميتشـل نحو العيش في الـريف وهو من ولـد ونشأ في المـدينة . وأدركت انـه لن يتمتـع بمثـل هـذه الحيـاة إلى الدرجة التي ستتمتع هي به . . لكن متى سنحت له الفرصة، ورافقها في رحلة نهاية الأسبوع إلى هنا . . كان يبدو مسترخياً يتمتع بما يحيط به، مع انه وضع حداً لركوب الخيل، فلقد رماه جواد يوماً، وهذا ما جعله يفقد شجاعته أمام الركوب . . . يحب الجياد، لكنه يبقى معجباً، وقدماه على الأرض بدلاً من الركوب .

وصلا إلى قمة تلة، ووقفا ينظران إلى الـوادي تحتهما . . وقـال ميتشل متذمراً :

ـ ألا نستطيع الجلوس في مكان ما .

أشارت دايان إلى صخرة واسعة مسطحة :

ـ فلنجـس هنـاك .

وضحكت منه ممازحة !

ـ أنت لا تحظى بالكثير من التمرين وأنت خلف مكتبك طوال النهار .

ـ ليس الجميـع مجانـين بما يكفي للركض كـل يوم في الحـدائق عنـد شروق الشمس . . ولست أدري كيف تتحملين هـذا . وتتـابعـين تعب العمل اليومي في المكتب .

ضحكة دايان رنت بوضوح عبر الوادي :

ـ يجب ان تجرب لتعرف . . . انه أمر منعش يملؤني بأطنان من الطاقة لمواجهة يومي .

تـآوه :

ـ لا تتحدثي عن الطاقـة . . . أظنني سرت بما يكفي العمـر كله هذا الصباح .

ـ آوه. . . . حسناً . . لسنا بعيدين كثيراً عن المنزل الآن . سنستريح قليلاً، ثم نتابع طريقنا .

ـ أحبك دايان .

نظرت إليه وهو يمسك بيدها ويرفعها إلى فمه وأحست بوخزة ذنب . . لماذا لا تستطيع ان تقول له «أحبك»؟ ماذا دهاها؟ لماذا تقف الكلمة دائماً عالقة في حلقها وكأنها ابتلعت قطعة علكة لاصقة؟

ـ دايان . . بمَ تفكرين؟

ـ أفكر؟ أفكر بنا . . وأظن اننا سنكون سعيدين معاً .

ـ طبعاً !

من السخف القلق حول شيء كهذا . . مع الوقت ستجد من السهولة أكثر قول تلك الكلمات التي تعرف انه يتوق ليسمعها . . لكن فقط مع الوقت .

عند النهاية البعيدة للحديقة، وعلى مسافة من المنزل قابلا رجلاً يجلس وأمامه طاولة صغيرة عليها قائمتان تحملان الأنانيب المختلفة الاحجام وبعض الآنية الزجاجية . . . فحدقت دايان به للحظات وهي مقطبة . . . ثم قالت لنفسها تكاد ترفع صوتها :

ـ طبعاً . . انه العالم النباتي !

تحطم غصن شجر جاف تحت قدمها، وهي تقترب منه، بعد ان تغلبت على دهشتها الأولية، فرفع رأسه فوراً، لينظر إلى خلف كتفه . . ولم تعد دايان بعدها تذكر ما كان انطباعها الأول عن باتريك أولينشو قسمات وجهه كانت متجهمة قاسية سمراء، ولم يكن في الفك المربع أي دليل على وجود أي أخدود أو خطوط، بينما كان أنفه العالي المعكوف يظهر دلائل كسر في وقت ما من حياته . . . وعلى أطراف فمه دلائل السخرية، بالرغم من امتلاء الشفة السفلى . . لكن عيناه هما اللتان لفتتا



نظرها أكثر، تحت حاجبين سوداوين كثيفين، حين أصبحت على بضع خطوات منه . كانتا مزيجاً من الرمادي والأخضر، وكان لهما قوة الاخضاع وهما تنظران إليها متفحصتان حتى أحست انها تنكمش داخلياً . . ويتسليم على مواجهة تهجم عينيه، شاهدتهما يطوفان فوقها بسخرية فأحست بأغرب إحساس من التعرض للتقييم .

باتريك أولينشو كان أكثر الرجال غرابة . . من الخارج يبدو هادئاً لا يمكن إزعاجه . . لكنها بطريقة ما، أحست بالطاقة المختبئة، المشحونة تحت سطح مظهره الخارجي . . وأحست كذلك بقلق داخلي . . ربما توتر، وكأنها اصطدمت بقوة كهربائية أقوى بكثير من قدرتها على التحمل . . لكن بكونها واقعية . . . تجاهلت كل هذا .

## ٢٠

# فرحة الخطوبة...؟

كسرت دايان الصمت المتوتر لتسأل :

ـ سيد أولينشو؟

هز رأسه إيجاباً دون ان يتكلم فتابعت :

ـ أنا دايان ويلمر . . وهذا ميتشل سترنغر . . . أيضايقك أن نراقب ما تعمل لفترة ؟

هز كتفيه :

ـ افعلا ما شئتما .

صوته بالرغم من اختصاره، كان عميقاً تستسيغه الأذن . . . وتحدث إليه ميتشل لأول مرة :

ـ ألا تعلم ان من حسن الخلق ان تقف حين تكلمك سيدة؟

لم يقفز باتريك أولينشو واقفاً كما قد يفعل رجل أقل شأناً أمام اللهجة السلطوية لميتشل . . . بل بقي جالساً، ونظر إلى حرج دايان الواضح، ثم استقرت عيناه على ميتشل :



ـ لم أطلب منها ان تحدثني . .

تصلّب ميتشل :

ـ أيها الـ . . . ـ ميتشل لا !

تدخل دايان كان لمصلحة ميتشل بعد ان شاهدت التوتر على كتفي باتريك أولينشو العريضين، واشتداد عضلاته استعداداً لعمل جسدي . . . وتابعت :

ـ السيد أولينشو على حق . . لم يدعو أبداً للحديث، كما لم يكن في نيتي أن أزعجه في عمله . . أرجوك سيد أولينشو . . تابع عملك وكأننا لسنا هنا .

التوى فمه مما قد يقال انه ابتسام، لكنها لم تصل إلى عينيه :

ـ بكل سرور .

لاحظت دايان ان ميتشل يغلي بغضب نافذ الصبر . لكنها تجاهلته وهي تميل إلى الأمام لتنظر من فوق كتفي باتريك أولينشو العريضين إلى أنبوب كان يضع فيه بعض الأدوية الملونة مع قليل من الماء ليذيبها . . في الأوعية الزجاجية على الطاولة أمامه عدد من الحشرات الزراعية، منها الميت ومنها ما لا يزال حياً . . وقالت له معلقة :

ـ كبداية . . . يبدو عملك رائعاً .

سألها دون أن يرفع نظره عن الماء الملون في الأنبوب :

ـ أتظنين هذا ؟

ـ أتقوم عادة بجمع هذه النماذج لتفحصها بنفسك أم لتأخذها معك إلى المختبر ؟

ـ هذا يتوقف على نوع العمل الذي أقوم به وعلى المنطقة التي أعمل فيها . . . هنا؟ لن يفيد إرسال كل شيء إلى المختبر في المدينة . . سأتفحص ما استطيع، واختار بضع عينات تثير اهتمامي لأحولها إلى

المختبر لدراسة أشمل .

تدخل ميتشل، بعد وقوف قلق :

ـ يجب ان نذهب دايان .

ردت بسرعة تنظر إليه برجاء قبل أن تعود إلى باتريك :

ـ دقيقة واحدة . . . أتفعل هذا لقاء أجر ؟

ـ بطريقة ما . . أجل .

تدخل ميتشل ثانية ليقول بصوت مستخف ساخر :

ـ لا يمكن لأحد أن يعيش حياة لائقة من وراء هكذا عمل . دارسو الحياة النباتية عادة كسالى، يعيشون على أحلام اكتشاف شيء قد يثريهم، بدلاً من العمل الجاد مثل غيرهم .

صاحت بصوت متهدج وقد أزعجتها ملاحظته الخرقاء :

ـ ميتشـــل !

لكن باتريك أولينشو رد بطريقة غير مضطربة اطلاقاً :

ـ واضح ان لك رأياً وضيعاً بالبحث العلمي سيد سترنغر . لكن الباحثين يعملون بكدّ لاكتشاف ما قد يفيد البشرية . وهذا النوع من العمل، يوفر لنا قدراً محدداً من العلم الحرّ، وهذا ما لا يأتي لنا بالكثير من المال . . لكن لو أن كل إنسان امتنع عن إظهار مواهبه بالطريقة التي يحبها، لما كان هناك توازن في أي شيء من هذه الحياة . . . ولما تمكنت من الجلوس مع أصدقائك الأثرياء لتؤثر عليهم بادعاء الفهم العلمي . . هذا إذا كان لديك أي فهم علمي .

باتريك أولينشو، وضع ميتشل سترنغر، في مكانه الصحيح، وبكل ذكاء وحنكة . . وأحست دايان بالخجل للاعجاب الذي أحست به نحو الرجل . . لكنها لم تستطع التفكير كثيراً بالأمر، لأن ميتشل كان يتقدم نحو باتريك وقبضتاه مشدودتان .



ـ إذا كنت تظن انني سأتقبل إهاناتك بخفة . . .

أوقفته دايان

ـ ميتشل . . أرجوك !

صحيح ان عضلات ساعد ميتشل كانت مشدودة، لكن دايان أحست بالخوف لرؤية العضلات الضخمة البناء في صدر باتريك أولينشو وذراعيه . كان يبدو رجلاً له قدراته في فن الدفاع عن النفس، وأحست بارتياب مخيف انه يتشوق لوضع إحدى هاتين القبضتين الضخمتين في وجه ميتشل الوسيم . . وقالت لميتشل بصوت ملطف لكن زاجر :

ـ كنت تهينه بطريقتك في الكلام، تعلم هذا .

رد عليها ميتشل بشراسة :

ـ أتختارين جانب هذا العديم النفع بدلاً مني ؟

ـ المسألة ليست اختيار جانب، بل أن أكون منصفة . . . فأنت فعلاً أهنت السيد أولينشو .

قال ملحاً بعناد، وهذا أمر مألوف منه :

ـ ما قلته صحيح . . العلماء عادة مجموعة كسالى .

أغضبها تصرفه :

ـ ربما في رأيك أنت . . . لكنك رجل خلقت ولك عمل مكتبي، دون طموح في أي إتجاه آخر .

ـ دايـــان !

بدت عليه الصدمة والجرح، وأحست بالبؤس لأنها السبب، لكنها لم تستطع تركه يهين رجلاً بالطريقة التي فعلها دون إظهار استيائها . . . وتنهدت :

ـ آوه . . . فلننسى الموضوع .

قاطعها باتريك أولينشو بخشونة وحدّة :

ـ سأكون شاكراً لكما لو تتابعا جدالكما في مكان آخر .

استدارت لتواجهه وهي تشعر بذنبها :

ـ أنا آسفة .

أمسك ميتشل بذراعها :

ـ هيا بنا دايان .

جذبت ذراعها منه .

ـ دقيقة واحدة . . الديك عمل محدد هذا المساء سيد أولينشو ؟

ارتفع حاجباه الثقيلان قليلاً :

ـ ليس ما لا استطيع تركه .

اندفعت تقول دون تفكير :

ـ ميتشل وأنا سنعلن خطوبتنا هذا المساء، وستكون حفلة رائعة . . . أتود حضورها ؟

بدت الدهشة في عينيه، قبل ان ينظر إلى الرجل الأنيق قربها، ثم ارتسمت بسمة ساخرة على فمه :

ـ أخشى أن لا يكون معي هنا بذلة سهرة لائقة .

ظنت ان المسكين قد لا يملك واحدة، فقالت :

ـ خذ حريتك في ارتداء ما تشاء . . فهل نتوقع قدومك ؟

ـ سأكون مسروراً .

ابتسمت :

ـ نراك إذن عند السابعة والنصف .

تابعا سيرهما ليقول ميتشل غاضباً :

ـ هل أنت مجنونة لتدعي رجلاً مثل هذا لحفلة خطوبتنا ؟

ـ إخفض صوتك ميتشل . . وأنا حرّة في دعوة من أشاء !



ـ ارتجف لمجرد التفكير بما سيقوله أهلنا حول هذا .

ـ أنا لا أهتم أبداً بما سيقولون . . ليس هناك واحداً من المئة مدعو الآن، دعوته أنا . . وأنا بالرغم من هذا لي الحق الأول في دعوة من أشاء !

ـ لكن دايان . . . هذا الرجل ليس من طبقتنا أبداً . . .

ـ ومن يقول هذا؟ ثم، ما يهم هذا ؟

ـ أنا لا أفهمك وأنت غاضبة هكذا .

ـ إذن نحن متساويان ميتشل . . . فأنا لم أفهمك حين كنت مزعجاً شريراً مع الرجل .

ـ كنت فقط . . .

ـ تقول رأيك . . أجل . . لكن ألا تتوقف أبداً للتفكير بأن رأيك قد يبدو إهانة، من وجهة نظر الآخرين ؟

استقر فك ميتشل بعناد مألوف لديها :

ـ لكنني لم ألتق بعد بشخص يمكن ان يعيش من وراء بحث علمي حول الحشرات والنباتات . . وأنا لا أرى السبب . . .

صاحت ساخطة :

ـ أووه . . ميتشل . . أصمت . . . ! أحياناً تجعلني أحس بالغثيان !

استدارت عنه بسرعة وركضت نحو السلم الحجري الموصل إلى المنزل . . من بين كل الناس، قابلت لوسي في الردهة . . . ونظراً لتعبير الانتصار على وجهها . عرفت دايان انها سمعت آخر ما قالته لأخيها . . فتجاوزتها، متمتمة وكأنها تعتذر، حين دخلت غرفة نومها، صفقت الباب وراءها بقوة لا لزوم لها . وتمتمت بعصبية :

ـ إلى الجحيم لوسي ! إلى الجحيم بالجميع !

رمت نفسها فوق السرير، ثم مع شدة فزعها، انفجرت بالبكاء

بطريقة ما، وخلال تقدم النهار لم يذكر أي منهما. دعوتها المتهورة لباتريك أولينشو. . وبلغت الساعة الثامنة. . غيابه جعلها تشك في انه غير رأيه. . وأحست بالخيبة، لكن وهي تسير إلى جانب ميتشل بصمت. . . تحمي الضيوف، نسيت أمره.

كانت تقف إلى جانب أمها حين سمعتها تشهق، فاتبعت اتجاه نظرها لتشاهد باتريك أولينشو يقف مستنداً إلى أحد الأبواب الزجاجية الموصلة إلى التراس يرتدي قميصاً مفتوح الياقة وسترة مع بنطلون من الجينز. وبدا لها بسيطاً مرتاحاً بين حفنة من المترسمين المتصلين، حتى ان دايان أحست بشيء من التوتر يتلاشى منها. وكأنه قدم لها جرعة منعشة.

انفجرت ريبيكا ساخطة :

ـ ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟ انظروا إلى ما يرتدي! هل دعوته جاكوب ؟

ـ ما كنت لأدعوه دون علمك ريبيكا.

ـ إذن. . . من. . . . .

قاطعتها دايان بهدوء :

ـ أنا دعوته أمي.

ـ أنت؟ لكن ماذا دهاك لتفعلي هذا؟

ـ وهل يهم ؟

ـ طبعاً يهم! جاكوب. . يجب أن تأمره بالرحيل فوراً !

قاطعتها دايان ثانية :

ـ لن تفعل هذا! باتريك أولينشو ضيفي أنا. . وسيرحل فقط حين أقرر أنا.

ـ حسناً. . . حقاً! . . . أنا. . .



لم تقف دايان لتسمع المزيد من أمها، بل اتجهت بسرعة بين الضيوف إلى حيث يقف باتريك يحمل كوب عصير في يده. وكانت تعي الهمسات التي بدأت تتطاير بين الحضور وكذلك كان باتريك، نظراً للابتسام والمرح الساخر في عينيه . . .

حين وصلت إليه قالت مبتسمة :

ـ مرحباً، بدأت أظنك لن تحضر.

ـ تأخرت في البلدة بعد الظهر. . انه فستان مذهل الذي ترتدينه، على فكرة.

ـ شكراً لك.

ـ هل سببت لك الإحراج لظهوري بهذه الملابس؟

ـ اتفضلين ان أرحل آنسة ويلمر ؟

ـ لا تكن سخيفاً. . قلت لك ان ترتدي ما تشاء. . . واسمي على فكرة، دايان.

ـ مختصر دايانا. . . آلهة الجمال ؟

ضحكت :

ـ أجل. . . هل أحضر لك شيئاً تأكله ؟

ـ سآخذ بنفسي فيما بعد. . هل وصلت في وقت مناسب لأشهد إعلان الخطوبة ؟

ـ أمي قررت ان التاسعة أفضل وقت لهذا. . كي يتاح لجميع المدعوين الانتباه.

ـ قرار حكيم. . . أتعرفين كل الموجودين هنا ؟

ضحكت :

ـ ليس الجميع. معظمهم من أصحاب المزارع في المنطقة، أو معارف عمل لأبي من البلدة. . لكن آل سترنغر دعوا عدداً لا بأس به



www.elromancia.com

من عائلتهم وأصدقائهم ممن لا أعرفهم .

- من هي تلك الشقراء التي تنظر إلينا نظرة الكراهية تلك ؟

بحذر، لحقت باتجاه نظرته، وتقلصت معدتها فوراً .

- إنها لوسي، شقيقة ميتشل، أخشى أن لا تكون تحبني كثيراً ! التوى فمه ساخراً !

- ربما لا تعجبها فكرة صداقتك معي .

كشرت دايان وجهها :

- إنها متعجرفة .

- أليس معظم الناس هنا مثلها ؟

نظرت إلى وجهه الأسمر :

- أحب أن أفكر بانني لست منهم . . كم ستبقى هنا ؟

- هذا يتوقف . . . .

مد يده ليضع كوب العصير على صينية يحملها خادم، فسألته بفضول :

- يتوقف على ماذا ؟

- سأرحل حين يصبح لدي مواد بحث تكفي .

- وإلى أين سترحل؟ اتجد فضولي مزعجاً ؟

- أبداً . . . . أنا أعمل لصالح جامعة «ريفيرت» في مدينة شفيلد، هنا في يوركتاير.

مر بهما زوجان، مرراً ملاحظات عن ملابسه، وكانت ملاحظاتهما متعمدة، فبرقت عيناها بغضب مكبوت :

- لا تعر ما يقولان اهتماماً . . .

وأمسكت بذراعه، لتحس لأول مرة بقساوة عضلاته وتابعت :

- أنا سعيدة بقدومك .



- صحيح ؟

- لست معتادة على قول ما لا أعنيه .

- هذا غير صحيح تماماً . . أليس كذلك؟ فأنت لم تنوِ مطلقاً دعوتي، لكنك استأت من كلام خطيبك، وأردت الانتقام . . ولسوء الحظ اخترت ان تدعيني هذا المساء انتقاماً .

- ولماذا لسوء الحظ ؟

- لكنني قبلت . . . وأنا الآن اشكل لك إحراجاً . . مع انك تحاولين جاهدة عدم إظهار هذا .

- غير صحيح ! اعترف ان كلام خطيبي أحرجني هذا الصباح . واعترف ان دعوتي كانت متهورة، لكنني لست خجلة أو محرجة من وجودك . وإذا كنت تظن هذا . . وإلا . . .

- وإلا ماذا ؟

أصلاً دايان شخصية صادقة، وأجابته بصدق :

- كنت سأقول، انني ما كنت سأضيع لحظة واحدة معك، لكن هذا أمر سخيف .

- سخيف بأية طريقة ؟

- لأن هذا الحفل الرسمي المتوتر بدأ يضجرني حتى لحظة رأيتك فيها .

من أطراف نظرها شاهدت وجه أمها الساخط، المماثل لوجهي ماريون وآدم ولوسي سترنغر، إضافة إلى ميتشل .

- أرجو أن لا يكون خطيبك رجل غيور دايان، وإلا قد نعطيه الانطباع الخاطىء .

أحمرّ وجهها .

- لكنك فهمت ما أقصد . . أليس كذلك ؟

ـ أكون أحمقاً إن لم أفهم . . . . أنت تستغليني في السخرية من كل أصدقاءك المتشردين . . واعتقد انه جاء الوقت لاضع حداً لهذا .

ـ باتريك . . . لا تذهب! فأنت الصديق الوحيد لي هنا اليوم .

لاحظت بدهشة، إن هذا صحيح . . . لكنه رد بسخرية :

ـ تمثيلك دور «الفتاة الثرية المسكينة» لا يؤثر عليّ آنسة ويلمر .

رجته بائسة :

ـ أرجوك . . . . أريدك حقاً ان تبقى . . . وأنت مخطىء إذا اعتقدت انني استغلك بالطريقة الكريهة التي ذكرتها .

تفرس بها لحظات، فكه متصلب . . وحبست أنفاسها وفمها يرتجف، وجنتاها شاحبتان، وقال :

ـ اعتقد انك فعلاً تعنين ما تقولين .

همست بإلحاح :

ـ أجل . . صدقاً .

قاطعهما صوت لوسي الساخر :

ـ عذراً لمقاطعتكما في هذا المشهد الحنون . . .

تركت دايان ذراع باتريك واستدارا معاً لينظرا إليها . . . وتابعت :

ـ على أحد ان يذكرك دايان، ان لديك ضيوف آخرين، أكثر اهمية لتسليتهم .

لهجتها كانت تصنف باتريك بالحثالة، كما كانت لهجة أخيها . . فسارعت دايان للرد ببرود، وسخرية مماثلة :

ـ شكراً لك لوسي . . لكن أهمية الضيوف لا يمكن أن تقاس هكذا . . . وأنا لا أحلم بأن أهين أحداً بمحاولة تقييمه هكذا .

ـ دايان !

صوت ميتشل وصلها قبل ان تراه يقف إلى جانبها، متجاهلاً



بعجرفة فظة وجود باتريك . ووضع يداً متملكة على ذراعها :

ـ كنت أفتش عنك .

ـ صحيح ؟

لكن لوسي قاطعتهما لتهاجم باتريك بوقاحة :

ـ أنا حقاً اعتقد ان لك جرأة كبيرة، سيد . . . مهما كان اسمك . . . بمجيئك بهذا الزي الشنيع . . .

وكادت دايان أن تضربها . . لكنه رد عليها بالتواء ساخر في فمه، وهو يقيّمها من فوق إلى تحت .

ـ اسمي أولينشو . . . باتريك أولينشو . . . وأنا هنا بناء لدعوة من الآنسة ويلمر .

صاحت لوسي بحدة وحقد :

ـ هذا مثالي منها . . . كنت أعرف طوال الوقت انها ستفعل أي شيء لتعكر حفلة الخطوبة . . . ولقد نجحت بكل تأكيد .

احتجت دايان بقسوة :

ـ لوسي . . هذا غير صحيح !

ابتسمت بعجرفة :

ـ غير صحيح ؟ إذن بكل تأكيد أظهرت هذا الانطباع .

قبل ن تدافع عن نفسها قال لها ميتشل :

ـ تعالي معي دايان . هناك شخص أريدك ان تقابليه .

شدتها يده ليبعدها عن باتريك، لكنها وقفت حيث هي تنظر إلى باتريك .

ـ أنا مضطرة للذهاب معه . . . لكننا سنتحدث فيما بعد .

حين التقت عيناهما كانت عيناه كقطعتي ثلج ، وأحست ببرودة تجتاح جسدها . . ثم أحنى رأسه فجأة، وسار إلى الطاولة حيث الشراب .

سألها ميتشل بهمس مؤنب وهو يقودها بين الضيوف :

ـ أكان يجب ان تثيري الاضطراب بين الحضور بحديثك مع هذا المتشرد ؟

ردت بحدة :

ـ له اسم ميتشل . . . ألا تذكر ؟

ـ دعينا لا نتجادل حبيبتي . أريد تقديمك إلى بضع أصدقاء أعزاء لعائلتنا .

وأدركت انه ربح الجولة . . لكنها لم تكن في مزاج يسمح لها بمقابلة الغرباء . . لم يكن من حق لوسي إطلاق هذه التصريحات الشنيعة غير المحقة . وليس لها الحق ان تتصرف بهذه الطريقة المتعالية المقيته نحو باتريك . . . وما زاد من غضبها ظنها ان ميتشل سمح لأخته بإهانة باتريك بهذه الطريقة .

صحيح ان هذه هي اللحظة التي كانت تنتظرها ، لكن بطريقة ما لم تكن تشعر بالسعادة ، بل احساس متوتر أن هناك شيء خاطىء في الأمر . . . هذا سخيف ! خطوبتها ستعلن ، وهذا ما خططا له ، وناقشاه لفترة طويلة .

وابتسمت له وهو يقودها إلى المنصة ، محاولة استعادة ولو القليل من الاحساس السابق بالسعادة ، لكنها فشلت حين نظرت إلى طرف الغرفة البعيد إلى الرجل المتكىء بعدم اكتراث إلى أحد الأبواب التي تقود إلى التراس . . .

ارتفع صوت جاكوب ويلمر .

ـ سيداتي سادتي . . . هل لي بانتباهكم قليلاً ؟

صمت الضحك والحديث .

ـ لي كل السعادة ان أعلن خطبة ابنتي دايان إلى ميتشل سترنغر . .



أرجو أن يملأ الجميع أكوابهم . . .

تصاعدت أصوات الأكواب ، ثم ساد الصمت مجدداً :

ـ لنشرب نخب دايان وميتشل . . .

بينما الجميع يشرب نخب الخطيبين كان ميتشل يدس خاتم الخطوبة في أصبع دايان .

كانت تعي في تلك اللحظة عدة أشياء دفعة واحدة : الحب في عيني ميتشل . . نظرة الرضى المتبادلة بين أبويهما . . . قسمات وجه لوسي الساخرة . . والبسمة الشاحبة الساخرة كذلك على فم باتريك أولينشو .

ما حدث بعد ذلك كان جزء من كابوس ، هجم الجميع فيه لتهنئتهما . . وباحساس ارتياح غير عادي استدارت لترى باتريك أولينشو يتقدم نحوهما .

ـ هل تسمحان بأن أقدم لكما تهنئتي ؟

ومد يده إلى ميتشل الذي تجاهلها باحتقار مما دعا باتريك إلى إنزالها إلى جنبه ثانية . . وقال ميتشل :

ـ ظننت ان لك بعض الاحترام لنفسك ، وانك رحلت . . . أولينشو .

شهقت دايان بحدة وغضب :

ـ ليس لهذا الكلام ضرورة ميتشل :

نظر متهكماً إلى باتريك ثم أدار ظهره ، ليهتم بشخص آخر . النظرة على وجه باتريك كانت تقول انه يكره أمثال ميتشل . لكن كان هناك أيضاً نظرة تسليه سرية حيرت دايان . وأمسك بيدها ملمس أصابعه القوية أرسلت رجفة غريبة في ذراعها . . ابتسم لها ابتسامة غريبة وهو ينظر إلى خاتم الخطوبة ، ثم قال بجرأة :

- إذا كان هذا ما ترغبين به دايان . . أرجو لك الخير .

حين غادر الجميع المنزل تلك الليلة، حدقت دايان حولها إلى الفوضى التي تركها الضيوف وراءهم . . ثم تنهدت، تسند رأسها على كتف ميتشل :

متعبة ؟

- أجل . . أريد الذهاب إلى غرفتي

- لا بأس حبيبتي . . أراك في الصباح .

لم تخلد دايان إلى فراشها على الفور، بل جلست تحدق بالماسة الغريبة اللامعة في أصبعها . . لقد اختاراها معاً . . أو للحقيقة، أقنعها بها . كانت تفضل شيئاً أصغر منها، لكنه أصر على شيء كبير تحس بثقله الآن في يدها .

صحيح انها آوت إلى الفراش، لكن بالرغم من تعبها لم تستطع النوم . . فجأة لم تعد واثقة من قدرة ميتشل على النظر إلى الأمور من وجهة نظرها . . وأخذت تحدق بصمت في الظلمة الصامتة . . إلى أن غلبها النوم في النهاية .



## ٣٠

## مستحيل!

ارتدت دايان بنطلوناً بنياً فضفاضاً، بلوزة صفراء شاحبة، وحذاء ركوب، ثم تركت المنزل عند أول ضوء للفجر، لتسير برشاقة وخفة نحو الاسطبل . . . وبمساعدة إندي، عامل الاسطبل، أسرجت «ويندل» الحصان العربي الذي أهداه لها أبوها منذ سنتين . وكان الحيوان متململاً لا يهدأ، عضلاته تتموج تحت جلده اللماع وهو يحركها كي يقول لها انه انتظر طويلاً ليحصل على جريه المفتوح هذا عبر الوادي .

- إهدأ ويندل . . إهدأ !

رفع الحصان أذنيه منتصبتان وشخر . . دليل نفاذ صبر . . بقفزة سريعة واحدة كانت فوق صهوته . . فتراجع ويندل، كعادته بعد أن يحس بثقلها على ظهره بعد طول غياب، ورفع قائمتيه في الهواء . . لكن دايان كانت ثابتة في قربوس سرجه، وسيطرت عليه بخبرة من قضى زمناً على ظهر جواد .

تراجع إندي، وهو يشهد المنظر، بضع خطوات إلى الوراء، ثم هز



www.elromancia.com

رأسه بعد أن انطلق الجواد وفارسته عبر الفناء كالرعد متجهان نحو البوابة . . لكن العربي الأصيل لم يتردد، بل أخذ البوابة كمن اعتاد على مباريات القفز، ثم انطلق بها عبر الوادي، وكأن عاصفة صحراوية تلاحقهما .

وبرائحة الجواد في أنفها تختلط برائحة الجلد تحتها . . . نسيت كل همومها . . والريح يعصف في وجهها . . . بعد خمسة عشر دقيقة، من هذا السباق المجنون مع الريح، ضرب ويندل الأرض بقوائمه متوتراً . . لكن يدا دايان كانتا ثابتتين على الرسن، وهي تقف في ركابه تراقب تصاعد الشمس من مشرقها لترى بنورها فوق الأرض الرطبة . . منظر مرّ بها العديد من المرات، لكنه كان في كل مرة كأنه تجربة جديدة، وكأنها ترى الأرض تنبعث إلى الحياة مجدداً .

عبر الأشجار، إلى الجهة الثانية من الساقية، لمحت منظراً غير مألوف لها . . مقطورة تمتد منها خيمة لتعطي الظل، كانت تقف في منبسط مستوي من الأرض . . . . إلى جانبها سيارة لاندروفر . . . إذن هذا هو المكان الذي يخيم فيه باتريك أولينشو، ولجمت جوادها . . لا تريد التطفل على خصوصياته . . لكنها عادت وانحنت أمام الإغراء وقررت أن تزوره بعد أن شاهدته يتحرك أمام المقطورة .

ترجلت بخفة، وربطت ركوبتها إلى شجرة، وقالت :

ـ غادرت باكراً ليلة أمس .

رد باقتضاب :

ـ أجل .

ـ لماذ ؟

ـ أظنني خدمت القصد من وجودي .

تفرست به لحظة . . . ثم قالت صادقة :



ـ أنا لست هكذا . . . فلم اعتد على استغلال الناس بالطريقة التي تتخيلها .

ـ أظن من الأفضل ان تذهبي من هنا . . آنسة ويلمر .

لن يعجب خطيبك ان يعرف انك هنا . وهناك آخرون كما اتصور، لديهم الكثير يتقولون به لو عرفوا مكانك في هذه اللحظات .

ـ فليذهب ميتشل إلى الجحيم . . . وإلى الجحيم بكل الآخرين !

إذا كنت تريدني ان أذهب، فقل هذا دون استخدام أحد كعذر .

كان يراقبها بعينين ضيقتين، لكنها كانت تعي انها تعني كل كلمة تقولها : فليذهب الجميع إلى الجحيم، بمن فيهم ميتشل . . فخلال ثمانية عشر شهراً كان ميتشل من يقرر إلى أين يذهبا، ومتى . . . ومتى يتعشيان في الخارج، وكان يقرر ما يطلبان من طعام، وهناك مناسبات أملى عليها بالفعل ما ترتدي . . . لم تكن تمانع يومها، لكنها أصبحت تمانع الآن بعد ان توضح لها فجأة ماذا يعني الزواج له . . . سوف يقرر مع من تتصادق . . مع من تتعارف . . وهذا الإدراك المخيف جعلها تعرف انها غير قادرة على المضي في هذا الزواج .

قاطع صوت باتريك العميق الأجش حبل أفكارها :

ـ أتأخذين الحليب والسكر مع قهوتك ؟

ـ حليب، دون سكر .

وضع كوباً بين يديها المرتجفتين، وللحظات اختلطت رائحة القهوة اللذيذة مع عطر ما بعد حلاقته، ثم ابتعد عنها مشيراً إلى كرسي قربها، وقال بصوت آمر حاد :

ـ اجلسي . . . أنت ترتجفين .

ولرعبها اكتشفت انها فعلاً ترتجف . . وسألته بعد أن جلست مرتاحة لتستعيد جأشها :

- أيعني هذا انك لا تمانع في وجودي هنا ؟

التوت ابتسامته :

- لا أمانع البتة . . فلا أحصل دائماً على سيدة شابة جميلة تتناول قهوة الصباح المبكر معي .

- أنت لست متزوجاً إذن ؟

- لا . . . أكنت تظنين ان لي زوجة أخبئها في مكان ما من المقصورة ؟

- لم أفكر بهذا . . أتسافر عادة إلى مسافات بعيدة ؟

- أجل . . هذا ما أفعله .

- اعتقد انك جبت البلاد كلها .

- لا . . ليس كلها .

- أهذه أول زيارة لك ليوركشاير ؟

- بل الثانية . . . اشربي قهوتك ؟

- هل أطرح عليك أسئلة كثيرة ؟

ابتسمت له . . لكنه لم يرد على ابتسامتها :

- قهوتك تبرد .

شربت القهوة بصمت . . محاولة بيأس ان لا تفكر . . لكن القلق والثورة داخلها لم تكن مجرد نزوة عابرة، لكنها قد تمرّ .

تنهدت أخيراً، كارهة ان تغادر الهدوء والسكينة التي تحيط بمخيمه . . لكن الشمس كانت تتصاعد نحو السماء عالياً، ووينـدل يشخر متذمراً :

- يجب أن أذهب الآن .

دون ان يتكلم، رافقها باتريك إلى حيث ربطت جوادها حين امتطته بأمان ، يداها تمسكان بالرسن للسيطرة عليه، نظرت إلى باتريك مبتسمة :



- شكراً للقهوة، وسرّني لقاؤك باتريك .

ضاقت عيناه تجاه الشمس وهو يرد :

- ربما سنلتقي ثانية .

- ربما .

- وأدارت عنق جوادها، وضربت كعبيها بجانبيه . . . فاستجاب على الفور منطلقاً في جري خفيف إلى ان وصل بها إلى الجانب الآخر من الساقية، حيث أعطته الأمر الصامت الذي كان ينتظره، وطارا معاً فوق أديم الأرض الندية العشب نحو المنزل الذي أخذ يظهر بالتدريج من بين الأشجار الباسقة التي تلتف حوله .

كان جاكوب ويلمر يجلس في المطبخ، وفنجان قهوة على الطاولة أمامه، فابتسمت عيناه الزرقاوان لرؤية ابنته تدخل عليه .

- كنت أتمنى أن تجدي فرصة لاخراج ويندل إلى الركض . . . لقد كان قلقاً مضطرباً مؤخراً، وكان يرفض بعناد ان يسمح لأحد بامتطاء ظهره، ما عدا أنت .

- نزهة هذا الصباح ستكفيه لمدة طويلة .

صبت لنفسها فنجان قهوة، فسيجد من الغرابة ان لا تفعل، ثم انضمت إليه على الطاولة . . فابتسم لها :

- الجميع ذهب إلى النوم متأخراً . . . أتذكرين؟ ولا يتمتع الجميع بالنهوض باكراً كما تتمتعين به أنت .

أراحت مرفقيها على الطاولة :

- أبي . . . أكان خطأً فادحاً مني ان ادعو باتريك أولينشو إلى الحفلة ليلة أمس ؟

- لك مطلق الحق ان تدعي من تشائين . قد لا يكون ذوقه في الملابس يتناسب مع المناسبة، لكن تصرفاته لم تكن تشوبها شائبة .

ـ كان هناك الكثير من التعليقات القذرة تتطاير، حتى أن لوسي سترنغر تجرأت وهاجمته مباشرة . . . أحسست بالخجل والغضب حتى انني كدت أصفعها .

ـ ميتشل لم تعجبه فكرة دعوتك لباتريك، وكذلك أهله .

ذكرته بمرارة :

ـ ولا تنسى أمي .

ـ لن أنسى . . لكن حاولي ان تتفهمي مشاعرهم دايان .

ابتسم لنظرة العناد في عيني ابنته وأكمل :

ـ لقد رتبوا أمر الحفلة بدقة لتكون رسمية . ومع انني معجب بجرأته، إلا انه كان يستجلب لنفسه اهتماماً غير ضروري بملابسه تلك .

اعترفت على مضض :

ـ اعتقد هذا . لكنه حذرني انه لا يملك ثياب سهرة، فقلت له ان هذا غير مهم، واعتقد انه قبل دعوتي كنوع من التحدي . مع ذلك لا زلت أتمنى لو لم يكن آل سترنغر وأمي . . . متعجرفين إزاءه كما فعلوا .

ـ للناس مقاييس مختلفة لحياتهم . . . ومن نحن لننتقدها . لا شيء في الدنيا يمكننا من تغيير مقاييسنا حياتهم . . لذا فهم مضطرون للعيش مع غرابة مقاييس كما نحن مضطرون للعيش مع غرابة مقاييسهم .

ـ أنت تقصد ان عليّ القبول بميتشل وأهله كما هم . . على أمل ان يتقبلوا مع الوقت، وجودي كما أنا ؟

ـ بالضبط . . هل تركت لهذه الحادثة الصغيرة ان تكدرك ؟

تنهدت :

ـ أظن انها أعطتني فرصة لأرى جانباً من ميتشل لم أكن أعلم انه موجود من قبل . وسيمضي وقت طويل قبل أن اعتاد عليه .



ـ ستعتادين عليه يا فتاتي . . ستعتادين عليه .

خلال ما تبقى من الصباح، لم تفعل دايان شيئاً، سوى الاصغاء والمراقبة وهي تعطي كل اهتمامها إلى ميتشل وعائلته . كانت كمن تراهم لأول مرة بوضوح . . وما شاهدته لم يرق لها . كانوا متكبرين متصلبين، مليئين بالغرور، وكذلك كان ميتشل .

لِمَ كانت عمياء عن كل هذا قبل الآن ؟

حين عادا إلى لندن بعد ظهر الأحد، قام ميتشل بمعظم الحديث طوال الطريق، وأصغت دايان ببساطة إلى أن وجدت نفسها تفكر بأكثر الأفكار خطراً . كانا قد اقتربا من لندن حين قال ميتشل لها :

ـ أنت متهورة جداً دايان . وطائشة لا يهمك بمن تتعرفين . لكننا سنشفيك من هذا .

أجفلت !

ـ نشفيك ؟

ـ والداي وأنا . . .

ـ هكذا إذن .

ـ أعني . . انظري إلى كيف دعوت ذلك المشرد إلى حفلة خطبتنا . . وكأن هذا لوحده لا يكفي، فأصريت على إحراجنا بأن أظهرت للجميع انك موافقة على حضوره وفي ذلك الزي المزري !

أدارت دايان رأسها عنه تنظر إلى خارج النافذة دون ان ترى شيئاً . . وقالت ببرود :

ـ أتظن ان بإمكانك تغيير الموضوع ؟

ـ طبعاً حبيبتي . . لم أقصد ان أؤنبك . . لكن في المستقبل يجب ان تثقي بحكمي على الناس .

هذا بالضبط ما كانت تخشاه . . لو تزوجته، فلن تفقد شخصيتها

فقط، بل ستلزم نفسها بحياة عليها ان تثق فيها باحكامه على كل شيء. حتى نوع الأصدقاء. . . وهناك شيئان فقط تستطيع فعلهما في هذا المجال! إما ان تتعلم ان تعيش مع هذا الواقع. . وإما ان تتوقف الآن. . . وبينما هناك متسع من الوقت .

سمعت ميتشل يقول لها بحماس :

- يجب ان أقول انني معجب بخطط أمك للزفاف. . . وأمي تعرف محلاً رائعاً بإمكانك شراء فستان الزفاف منه . . ولقد قلت لأمي ما اعتبره مناسباً لك .

- صحيح ؟

لم تندهش لظنه ان له رأياً بما ترتدينه كذلك. .

وأكمل :

- سيكون لنا حفل زفاف رائع يتحدث عنه الناس لأشهر .

- أجل. . أنا واثقة من هذا .

- تحسين بالسعادة للأمر. . أليس كذلك؟

تنهدت بقوة :

- في هذه اللحظات. . . أنا متعبة جداً لأحس بأي شيء وصمت الاثنان خلال آخر ربع ساعة من رحلتهما .

ماذا ستفعل؟ سؤال أخذ يجوب زوايا تفكيرها لما تبقى من النهار. ولجزء كبير من الليل. . أخيراً أخذت تزن حسنات ميتشل أمام سيئاته حين دخلت الفراش. . . وعلمت علم اليقين انها ارتكبت غلطة فادحة رهيبة. . فلن تستطع الزواج منه. . لو انها تحبه بما يكفي، كل هذه الأمور الصغيرة لن تكون مهمة. . . لكنها تأكدت الآن انها لم تحبه يوماً. . انها تهتم به كصديق. . هذا صحيح . . ولربما كان اهتمامها زائداً لتفكر بالزواج منه. . لكن، الآن وقد رأته على حقيقته. . فقد



تأكدت ان الزواج أمر لن تستطيع الدخول فيه معه. . لن تستطيع العيش مع رجل سيتابع دون كلل املاء رغبته عليها. . من تعاشر، أو مع من تختلط، ومع من تتكلم إذا كانا في محيط ليس من مستواهما الاجتماعي .

إذن ستعيد خاتمه له، لكن في اللحظات الأخيرة، كي تقطع عليه طريق إعادة التودد، ولكي تنال قسطها من الوقت لتفكر، ولتتأكد هذه المرة ان قرارها سليم . . . وهذا ما جعل بالها يستريح، وسمح لها بالنوم .

قدمت دايان استقالتها من عملها أول وصولها إلى المكتب، واقنعت رب عملها الساخط ان يسمح لها بترك العمل بعد أسبوعين بدلاً من شهر. استقالتها أثارت لغطاً بين الموظفين. . لكن هذا لم يثر اضطرابها بقدر ما اثاره محاولتها الظهور طبيعية في رفقة ميتشل. . لذلك قررت ان تقلل من رؤيتها له قدر المستطاع. . . وسيكون لديها الكثير من الوقت خلال إقامتها في «ريدج واي» لتقرر ما ستفعل .

مساء أحد الأيام خرجت مع ميتشل للعشاء. . وأخذها إلى مطعم فخم. . بعد العشاء، وهما يتناولان القهوة قال دون مقدمات :

- كنت وأمي نناقش ترتيبات الزفاف، وكلانا قرر أن لوسي ستبدو رائعة في ثوب أزرق كوصيفة لك .

هذه هي القشة التي ستقصم ظهر البعير. . لو كان لديها أي شك حول فسخ خطوبتها، فقد تلاشى الآن. . . لوسي وصيفتها؟ لن يحصل هذا ولو على جثتها !

- كنت سأطلب من صديقتي اليزابيت ماترسون ان تكون وصيفتي .

- هذا مستحيل. . لقد قررنا كل شيء. . لوسي ستكون وصيفتك وابن عمي اندرو سيكون وصيفي .

لم تجد فائدة من استمرار الجدال . . فلقد اتخذت قرارها النهائي ، وبعد بضعة أيام لن يعود أي من هذا يهم . . .

ابتسم لها :

ـ أنا أتكلم منذ نصف ساعة ، بينما بالكاد تفوهت أنت ببضع كلمات . . .

دفعت بفنجانها جانباً :

ـ لو كنت قادرة على جعل هذا أكثر سهولة عليك . . . صدقني ما كنت تأخرت ، لكن لا فائدة من المراوغة . . . أريد فسخ الخطوبة .

ـ تريدين ماذا ؟

شحب وجهه ، وحدق بها دون تصديق ، في تلك اللحظة أحست بالاشفاق عليه بشكل لم تحسه نحوه من قبل وقالت بهدوء :

ـ لن استطيع الزواج منك ميتشل

ـ لكن . . . لكن . . . لماذا؟ ما الذي جعلك تغيرين رأيك ؟

ـ عدة أشياء .

رفع حاجبه بسخرية :

ـ أحدها ذلك الباحث المتشرد ، كما اعتقد !

ـ ليس له دخل بكل هذا .

ـ إذن لماذا ؟

ـ لا استطيع العيش مع رجل سيتحكم بحياتي كما يشاء ، متشيل . . أنت تنكر علي حقي باختيار أصدقائي . . كما أنكرت علي حقي بكل ذكاء بان اختار ثوب زفافي ، ووصيفتي . . هذا كبداية . . وهذا أمر لن أتسامح به .

ـ إصغي إليّ دايان ، لن أتدخل في اختيار أصدقائك . . وسأترك لك خيار الفستان والوصيفة . . لكن أرجوك حبيبتي لا ترمي بسعادتنا



عرض الحائط بطيش هكذا .

ـ لن ننجح ميتشل .

ـ دايان . . .

ـ أنا آسفة ميتشل .

انتزعت الخاتم من إصبعها ووضعته على الطاولة ثم تابعت :

ـ كانت غلطة منذ البداية . . وألوم نفسي تماماً لأنني لم أدرك هذا في وقت مبكر . لقد استقلت من وظيفتي وفي الصباح سأذهب لقضاء بضعة أسابيع مع عائلتي .

انتزع الخاتم عن الطاولة ودسه في جيبه قائلاً بعصبية :

ـ سيكون باتريك أولينشو هناك بالتأكيد .

ـ صحيح . . . . لكنني أشك ان أراه . . وبصراحة هذا لا يهمني .

ـ ظننتك تحبينه دايان .

ـ كنت مخطئة .

التقطت حقيبة يدها ووقفت :

ـ وداعاً ميتشل .

ـ انتظري لحظة ! لا يمكن ان ينتهي كل هذا بهذه الطريقة !

حين نظرت إليه ، ارتابت بانه على وشك البكاء . . لكنها قالت بلطف :

ـ لا فائدة من الإطالة وتأخير المحتم . أنا آسفة .

لم يلحق بها وهي تخرج من المطعم . . أخيراً أصبحت حرة . ومع انها نادمة على إيلامه ، إلا انها واثقة الآن انها قامت بالقرار الصحيح . كل ما تبقى أمامها هو اقناع أمها ، وهذا شيء كانت تنظر إليه بخوف . . لكنها كانت تأمل أن يتفهما . . . ويسامحانها .



www.elromancia.com

## ٤٠

# شلال العذارى

قدمت ريبيكا ويلمر الشاي في فناجين من الخزف الصيني الرقيق الصنع . . . وتوقف الحديث بطريقة ما، إلى أن وضعت دايان فنجانها فوق صحنه على الطاولة قربها . . عندها فقط لاحظ جاكوب وريبيكا غياب خاتم الخطوبة من يدها . فساد في الغرفة صمت متوتر، لا يقطعه، بالنسبة لدايان سوى ضربات قلبها التي كانت تضج في أذنيها .

قالت بصوت رنّ في الصمت المطبق للغرفة :

ـ لن يكون هناك زواج .

وتطلعت إلى وجهي أبويها لترى تأثير كلامها عليهما . وجه أبيها سجّل صدمة، لكنه بقي هادئاً . . لكن وجه أمها بدا شاحباً شديد البياض :

ـ ماذا تعني . . لن يكون هناك زواج ؟

ـ فسخت خطوبتي مع ميتشل .

ـ وهل جننت دايان؟ كيف تفعلين هذا بعد كل المصاريف والتعب الذي تكبدناه لحفلة خطوبتك ؟



قاطعها جاكوب بهدوء :

ـ تمهلي لحظة ريبيكا . . . أنا واثق أن لدايان تفسير يدعم قرارها .

ردت ريبيكا بشراسة وهي تشخر سخطاً :

ـ ما من تفسير يبرر تصرفها الشائن !

أحست دايان بجفاف فمها :

ـ لا شيء شائن حول إدراكي في الوقت المناسب انني ارتكبت غلطة .

وقفت الأم، وأخذت تذرع الغرفة متوترة :

ـ لأجل الله دايان . . . ! اصمتي! معظم الفتيات يتخلين عن أي شيء للحول على رجل مثل ميتشل . . انه من عائلة ثرية لها نفوذ كبير . . وبعد سنوات ليست ببعيدة سيصبح على رأس مؤسسة أبيه . إضافة إلى ذلك، لطالما اعتبرته أنا مناسباً جداً، وبأكثر من طريقة .

رفعت دايان وجهها إلى أمها متحدية :

ـ آسفة أمي، لكنني لن أسمح لأي رجل ان يدير حياتي بالكامل كما يحاول ميتشل ان يفعل .

صاحت ريبيكا غير مصدقة :

ـ يدير لك حياتك؟ عما تتكلمين بحق الله ؟

ـ ربما السيطرة عليها وصف مناسب أكثر .

وقفت الأم أمامها :

ـ السيطرة؟ لا تكوني سخيفة! فهو لم يسيطر عليك أبداً .

ـ آوه . . . بلى . . . لقد فعل، لكن هذا كان يتم ببراعة خبيثة . نهاية الأسبوع التي أعلنت فيها خطوبتنا فتحت عيني على أشياء كثيرة . . . أنكر عليّ حقي بأن أحكم على أي شيء، كما أنكر عليّ حقي باختيار ثوب عرسي ووصيفتي . ميتشل وأمه قاما بالترتيبات دون حتى

استشارتي .

سألت الأم بنفاذ صبر .

ـ وماذا في هذا؟ ماريون ويلمر لها ذوق سليم ولوسي ستكون رائعة تماماً كوصيفة لك .

رفعت نظرها إلى أمها بقرف :

ـ إذن كنت تعرفين هذا مسبقاً ؟

ـ ناقشنا هذا يوم خطبتك . . ولم يكن لي اعتراض . . لوسي فتاة جميلة مرضية .

قفزت دايان واقفة ، تكاد تنسى وجود أبيها وهي تواجه ريبيكا بشراسة :

ـ لوسي عاهرة !

شهقت الأم برعب !

ـ دايان . . . ! انتبهي لكلامك !

ـ إلى الجحيم بكلامي ! لوسي عاهرة حاقدة لم تكتف بإهانة الشخص الوحيد الذي دعوته بنفسي إلى حفلة خطوبتي ، بل صممت على نشر انطباع أنني تعمدت دعوته لأفسد حفلة الخطوبة . . . والأكثر من هذا أن ميتشل وقف معها ، وسمح لها ان تتابع إهاناتها دون أي جهد لإسكاتها .

أشارت ريبيكا بيديها ساخطة !

ـ لم يكن من حقك دعوة السيد أولينشو .

صاحت بحدة متجاهلة إشارة أبيها بأن تهدىء من روعها :

ـ بل لي كل الحق ! أنت دعوت أصدقائك ، وكذلك فعلت عائلة ويلمر . . ولم أدرك كم انني مُنعت بذكاء أن أضع لائحة بأسماء أصدقائي الذين أود دعوتهم ، إلا حين بدأت أفكر بالموضوع . . لكن



مثلهم مثل باتريك أولينشو . . . ليسوا من الطبقة المناسبة لك ولعائلة ويلمر . . . وهذا ما أثار إشمئزازي كثيراً .

ـ حقاً! أنا لا . . .

قاطعها جاكوب بهدوء :

ـ لحظة ريبيكا . . . أظن اننا خرجنا عن الموضوع . . . لماذا بالضبط فسخت خطوبتك دايان ؟

تنهدت دايان بتعب ، وجلست على ذراع المقعد الذي كانت تجلس عليه .

ـ منذ لحظة أصبحنا مخطوبان أدركت غلطتي . . حين غادرنا هنا يوم الأحد ، كنت أعرف انني لن استطيع الاستمرار . . . تصرفات ميتشيل جعلتني أدرك انني لم أعرفه حقاً ، وحين أتيحت لي فرصة النظر إليه عن كثب وجدت ان ما رأيته لم يرق لي . . هذه الأمور الصغيرة ، مثل إنكار حقي باختيار حتى ما سأرتديه ، إنما زادت قناعتي بأن الزواج منه غلط! أحس بالحزن الرهيب لهذا . . . لكن . . . هذا هو الواقع !

قالت ريبيكا ببرود :

ـ ارتجف لمجرد التفكير بما ستقوله عنا عائلة ويلمر .

وقف جاكوب ورد بخشونة غير مألوفة منه :

ـ فليقولوا ما شاؤوا . . . سعادة ابنتنا هي المهمة .

ساد صمت مملوء بالشر ، وتبادل والدا دايان نظرات التحدي . . . فابتلعت دايان ريقها ، وقالت لتجذب اهتمامهما معاً :

ـ هناك شيء آخر أقوله لكما . . . استقلت من عملي وسأبقى هنا لفترة إلى أن تهمد كل الأمور .

ـ التوى فم الأم بسخرية :

ـ أتعني انك جئت إلى هنا لتختبئي ؟

صاح جاكوب يصدها بعد أن رأى دايان تجفل :

ـ ريبيـكا !

لكن لا شيء يـوقف الأم متى بـدأت تكتسب المـزاج السيىء . .

وأجابت دايان بحدة :

ـ جئت إلى منزلي العائلي أملاً ان تفهميني . . . لكن يبـدو انني كنت مخطئة .

ردت الأم بحدة وبرود متشامخ :

ـ حسناً . . . إذا كنت توقعت مني ان أربت عـلى كتفك وأقـول لك انك فتاة طيبة . . . فأنت فعـلاً مخطئـة . . شخصياً اعتقـد انك فقـدت عقلك .

قال جاكوب راعداً بشراسة :

ـ هـذا يكفي ريبيكا . . اقـترح عليك الـذهاب إلى المـطبخ وتحضـير شاي طازج .

لم تسمع دايان أباها من قبل يتحدث إلى أمها بهذه الخشونة ، وفكرت للحظات ان أمها ستتجاهل أوامره . . . لكن الأم انتزعت إبريق الشاي بحدة وسارت تخرج من الغرفة ، تاركة دايان مع أبيها ، الذي قال بلطف وقد لاحظ الدموع على رموشها :

ـ تعالي إلى هنا يا ابنتي .

حين اندست بارتياح بين ذراعيه قال بدهاء مذهل :

ـ الحقيقة انك لم تحبي ميتشل حقاً .

ـ ظننت انني أحببته . . . لكنني توصلت إلى استنتاج بانني لا أعـرف ما هو الحب حقاً .

ودفنت رأسها في صدره :

ـ آوه يا أبي . . لقد أفسدت كل شيء .



ربت عليها ملطفاً :

ـ هاك الآن . . . لا تكدري نفسك .

ـ أحسست بعقدة ذنب رهيبة لاضطراري ان أؤلم ميتشل .

ـ أعرف . . . لكن فكري كم ان ألمه سيكون أكبر لو انتظرت إلى ما بعد الزواج . . . وأنت تعرفين كم ان الطلاق مؤلم أكثر .

هزت دايان رأسها ومسحت دموعها بمنديل أعطاه لها والدها . . وقالت :

ـ لم استطع الاستمرار بالخطبة إلى هذا المدى .

ابتسم لها :

ـ وأنت محقة . . . جففي دموعك . . اسمع أمك قادمة . ولا تهتمي كثيراً بما تقول . . . ستتغلب على خيبتها مع الوقت .

وضعت ريبيكا إبريق الشاي بحدة على الصينية ، وجهها يعكس سخطها :

ـ هاكم الشاي . . . صبيه أنت دايان . . لدي أعمال في المطبخ .

تركتهما بسرعة كما دخلت ، وحدقا ببعضهما باستسلام صامت . . ثم ابتسمت دايان وهي تصب الشاي مرتجفة :

ـ لقد فعلتها هذه المرة . . أليس كذلك ؟

ـ ألم أعلمك دائماً ان تتمسكي بقراراتك ، وإذا وجدت انك مخطئة ، ان تكون لك الشجاعة في الاعتراف بالخطأ؟

ـ أجل . . . شكراً يا أبي . . . أحس انني أفضل حالاً بكثير الآن .

بغياب الأب عن المنزل يوم الاثنين . . . لم تستطع دايان تحمل صمت أمها العبوس . . فخرجت أخيراً لتأخذ نزهة طويلة . . لم تكن تهتم إلى أين . . . لكنها بعد فترة وجدت نفسها عند الشلال ، وبركته الصافية وصخوره الناعمة ، تحت ظل الأشجار . . . حين كانت طفلة

كانت تأتي إلى هنا دائماً تراقب الماء تتسلل من فجوات في الصخر لتتساقط خمسة عشر متراً نحو بركة طبيعية، تطوف بدورها، لتنساب في ساقية، تقرب إلى نهر، وتقسم أرض مزرعة ريدج واي إلى قسمين .

جلست فوق صخرة منبسطة، تحدق بمزاج مكتئب إلى البعيد، لا ترى شيئاً . . إلى أن قفزت حصاة فوق الماء، فرفعت نظرها لترى باتريك أولينشو يقف على مسافة منها وإبهاميه معلقان في حزامه الجلدي العريض . . .

كنت أراقبك منذ بعض الوقت . . هل تفكرين بإغراق نفسك ؟

صوته العميق كان مستساغاً لأذنيها، وعيناه الرمادية الخضراء كانتا تسخران منها، فأجابت متصلبة :

ـ سيكون هذا أمر صعب . . فأنا سباحة ممتازة .

التوى فمه كمن يبتسم، ودون انتظار الاستئذان جلس على الصخرة قربها :

ـ أنا سعيد لهذا . . هل أنت في عطلة هنا؟

ـ استقلت من عملي .

أبعدت نفسها عنه قليلاً حين تلامس كتفاهما، فابتسم :

ـ آه . . فهمت . . قررت ان تبقي طوال فترة الخطوبة عند أبويك . . ولقد اشتقت الآن إلى خطيبك .

ـ لم يعد لي خطيب .

قبل ان تستطيع منعه، أمسك بيدها ليلاحظ بنفسه غياب الخاتم . . مرة أخرى ظهرت السخرية على وجهه :

ـ لم يتأخر كثيراً في الاحساس بحبل المشنقة حول عنقه . . . . لكن ذكاء منه ان يهرب في الوقت المناسب .

انتزعت يدها منه غاضبة، وردت بمرارة :



ـ لم يفسخ هو الخطوبة . . بل أنا .

ـ عظيم . . يقال ان من شيّم النساء التقلب في الرأي . . والنساء يملن إلى الاستفادة من هذا القول إلى أقصى مدى .

ردت على قوله الساخر :

ـ لا داعي للتفكير بأي جانب أنت . . فحين يغير الرجل رأيه يكون في نظركم حكيماً . . لكن حين تفعل المرأة هذا . . . تكون قد تصرفت بناء لنزوة غبية .

ـ لم أقل هذا أبداً .

ـ لكنك المحت إليه .

ضحك :

ـ لا تكوني متوترة هكذا . . بدلاً من الجلوس هنا عابسة، دعينا نحتفل بحريتك .

وقبل ان تعرف ماذا يريد أن يفعل، لف ذراعه الطويلة القوية حول كتفيها وضمها إليه . . فسألت باندواخ :

ـ لماذا تفعل هذا ؟

ـ لانني رغبت ان أفعله لحظة شاهدتك أول مرة . . . وبدا لي الآن وقت مناسب . . . ألم يعجبك ؟

احمرّ وجهها وأشاحت بنظرها :

ـ أنا . . . . أنا . . لست أدري .

ـ هل أمضي قدماً بما أفعل كي أساعدك على القرار ؟

رفعت يديها باتجاهه مدافعة عن نفسها :

ـ لا أظن . . . شكراً لك على أي حال .

لكن، للحظات سخيفة مجنونة، أرادته ان يفعل . . ثم استجمعت نفسها بحدة، وعادت إلى الالتفات بعيداً عنه فقال لها :

ـ أتسمحين لي برسم لوحة لك ؟

حدقت به مذهولة :

ـ مـاذا ؟

ـ لا تعجبي . . . فـأنا أهـوى الرسم، وأقـوم برسم أنـواع النباتـات الغريبة والحشرات بالتفصيل لأجل بحثي العلمي . . .

فهل تسمحين لي برسم لوحة لك ؟

ضحكت بتوتـر :

ـ أظنك مجنون . . . عالم ورسام ؟

ـ سأكون مجنوناً ان لم أرسم لك لوحة . . . شعر جميـل، بنية رائعـة، عينان ساحرتان، شفتان مغريتان . . . و . . . .

ـ هـذا يكـفي !

ووقفت حـين بدأت عينـاه تتجهان إلى فتحـة قميصهـا لكنـه أكمـل بإصرار :

ـ هل تجلسين لي كي أرسمك .

تجنبت البت بالموضوع :

ـ أظن انني بحاجة إلى وقت لاعتاد على الفكرة أولاً .

ـ معظم النساء يقفزن إلى مثل هذه الفرصة !

ـ حقـاً ؟

ـ سخريتها أشعلت السخرية في عينيه مجدداً :

ـ ألا تحبين أن تتخلد قسمات وجهك في لوحة ؟

ـ لم اعتبر نفسي يوماً موضوعاً مناسباً للوحة .

ـ لكنك لا ترين نفسك كما أراك أنا .

ـ وكيـف تراني ؟

ـ دعيني أرسمك، عندها سترين بنفسك كيف أراك !



ـ لدي إحساس عميق انك تحاول الايقاع بي .

ـ كل ما أحاول ان أحصل عليه هو صورتك على القماش .

فهل ستحرميني من هذا الامتياز ؟

تنهـدت :

ـ ومـاذا سـأخسـر ؟

ـ إذن . . سنبدأ غداً . . هنـا في الثامنـة والنصف ولا تتأخـري رافقته دايان يبتعد بين الأشجار، فجأة أصبحت لوحدها . مرة أخرى ليس من حولها سوى الصمت وصوت اندفاع المياه في أذنيها .

كانت الشمس مرتفعـة في السماء حـين عادت إلى المنـزل . . . . عينا أمهـا الحادتين لاحظتـا بسرعـة العشب الجـاف العـالق بتنـورتهـا . . .

فسألتها بحدة :

ـ أيـن كنـت ؟

ـ سرت حتى الشلال .

لحقت بهـا أمها إلى غـرفة الجلوس . . وأصبـح الجو مكهـرباً . حـين تواجهتا . . . وقالت الأم :

ـ اعتقد انك عرفت ان السيد أولينشـو سيكون هنـاك ليأخـذ عينات من الماء للفحص .

ـ لم أكن أعرف . . لكنني التقيته، وتحدثنا قليلاً .

ـ حـول مـاذا؟

صاحت دايان بغضب :

ـ حقاً أمي ! منذ متى أنا مضطرة إلى تقـديم تقريـر لك حـول حديثي مع الناس ؟

ـ أنا قلقة عليك دايان . ولا أريدك ان تتورطي مـع أنواع خـاطئة من الناس .



www.elromancia.com

ـ أتورط؟ أي نوع من التورط تقصدين . . وماذا، إذا كان لي ان أعرف، هو الخطأ في باتريك أولينشو ؟

ـ حسناً . . انه . . انه . . . انه هنا منذ مدة قصيرة .

تصاعد غضب دايان إلى سخط جارف شرس :

ـ كوني محددة أكثر في كلامك أمي .

ـ وهل أنا مضطرة لتهجئة الأمر لك ؟

ـ سأكون ممتنة لو فعلت !

ـ الرجل غريب تماماً عنا . . . ولا نعرف إذا كان له عائلة تستحق الذكر . . أو انه في الواقع تربى تحت مزراب على قارعة الطريق .

ارتجفت دايان وهي تهس الكلمات من بين أسنانها !

ـ لن أعجب لو انك جعلت شغلك الشاغل البحث عن هذه الأشياء عنه .

ردت ببرود :

ـ على المرء فقط ان ينظر إليه ليعرف ما هو . انه متشرد وككل متشرد، اسمه لا يساوي شيئاً، وليس له مركز محترم في أي مجتمع .

ـ الثراء والمركز . . . . ! أهذا كل ما تهتمين به حقاً . . . أليس كذلك؟ ولأن باتريك أولينشو لا يحمل دمغة مجتمعك، فهو محكوم عليه فوراً !

ـ ما من أحد يحترم نفسه يعيش كما يعيش هو .

ـ له بيت وعمل في «شفيلد» وجامعتها، ألا تعلمين هذا ؟

ردت بسخرية :

ـ صحيح . . . ؟ بإمكاني تصور نوعية بيته .

تنفست دايان نفساً عميقاً :

ـ اعتقد انه لم يتبادر إلى ذهنك أن هناك أناس شرفاء محترمون من بين



من هم أقل ثراء من طبقتكم ؟

شخرت ريبيكا بسخرية :

ـ لم يكن لدي الرغبة يوماً في التفتيش بين زرائبهم لأعرف !

ـ الجدال معك عقيم !

وتركتها عاصفة في خروجها لكن صوتها الزاعق الحاد أوقفها لحظات لتسمعها تقول :

ـ دايان ! ستبتعدين عن طريق السيد أولينشو !

التفتت ببطء لتواجه أمها بتصميم عنيد :

ـ ليس لدي النية ان أنفذ تعليماتك المتكبرة يا أمي . . . في الواقع سأراه كثيراً من الآن وصاعداً . ولقد طلب مني ان يرسم لي لوحة . . . ووافقت !

دخل جاكوب إلى غرفة الجلوس بهدوء وصمت لم تتنبه إليه المرأتان :

ـ ما هذا الكلام عن لوحة ؟

رددت دايان كلامها بهدوء :

ـ باتريك أولينشو يريد رسم لوحة لي ؟

ابتسم جاكوب واضعاً ذراعه حول كتفي ابنته !

ـ هذا عظيم . . . لكن ما شأنه والرسم ؟

ـ انه بارع في الرسم، ويرسم كل النماذج الغريبة التي يكتشفها ليضيفها إلى بحثه .

تلقت ضمة حنونة منه . . لكن زوجته قالت بصوت غاضب :

ـ كيف تشجعها على هذا جاكوب ؟

تنهد :

ـ عزيزتي ريبيكا . . . . الرجل يريد رسم لوحة، ولا شيء غيره . . وإذا وافقت دايان على الأمر، فلماذا أعارض !

اشتدت شفتا ريبيكا فوق بعضهما حتى أصبحتا كخط رفيع، ثم قالت من بينهما :

ـ لقد منعتها من الاختلاط بهذا الرجل .

رد جاكوب بصوت أجش مليء بالغضب :

ـ يا إله السماوات! لا شيء خاطىء في باتريك أولينشو !

ـ وماذا تعرف عنه ؟

ـ لقد تجشمت عناء معرفته، كما فعلت تماماً مع من يعمل لدي . . . ولقد أعجبني ما عرفته وما رأيته منه . . . انه ليس ذلك المتشرد التافه الذي يبدو لك، ولا أجد سبباً يمنع ابنتي من الاختلاط به إذا أرادت .

ـ لكن . . . .

قاطعها بطريقة سلطوية :

ـ الموضوع منتهي . . . فلنتناول الطعام . . . الوقت متأخر، ولا زال أمامي عمل كثير بعد الظهر لتفحص خزانات الماء ووضع الأدوية فيها قبل تغطيس الماشية للتعقيم .

غادرت دايان المنزل باكراً في الصباح التالي لتحافظ على موعدها مع باتريك أولينشو، حين وصلت إلى الشلال وجدته سبقها وحضر أدوات الرسم، يدخن سيكاره وهو ينتظرها .

أشار إلى الصخرة التي كانت تجلس إليها بالأمس :

ـ اجلسي هنا .

أطاعته بصمت، ممتنة لظلال الاشجار الممتدة على الصخرة في ذلك الوقت من الصباح بالذات .

ـ أديري رأسك قليلاً إلى اليمين . . أجل . . هكذا .

تقدم نحوها بصمت، مد يده إلى المنديل الذي تربط به شعرها :

ـ ألديك مانع ؟



همست بضعف من قربه منها .

ـ لا .

فك المنديل ليرتب لها شعرها بطريقة انتشر فيها على كتفيها بكثافة .

ـ لك شعر جميل .

ـ قلت هذا بالأمس .

ـ وسأقوله في الغد أيضاً . . . استرخي دايان . . واتركي أفكارك تظهر، أريدها مرتسمة على وجهك كما الأمس .

جلست جامدة تفكر . . كم هو بارع يا ترى في الرسم ؟

ـ أتسمح لي بالكلام ؟

ـ تفضلي . . . ما الذي جعلك تغيرين رأيك بالزواج من صديقك الوسيم ؟

ـ هذا أمر شخصي .

ـ هل حاول العبث معك ؟

ـ بالطبع لا!

ـ ربما هذا هو خطأه !

ـ لا شأن لهذا بقراري فسخ الخطبة .

صمت قليلاً ثم قال بصوت عميق أجش :

ـ هذا أغرب شلال رأيته من قبل .

ـ الماء تنبعث من شق في مكان ما من الجبل، ويتحول الشق إلى نفق يصل إلى هذا المخرج . الاساطير تقول ان تنيناً كان يسكن ذلك الشق الشبيه بالغار، ويقال انه كان يخرج من مخبئه مرة كل شهر ليختطف أي فتاة تستحم في مياه البركة، لذا يدعون الشلال، «بدموع العذراء» ومن دموعهن يتألف النبع .

وقفت دون تفكير لتغرف الماء بيديها :

- الماء صافية، رقتها الطبيعة بطريقتها الفريدة. . . مذاقها حلو. . أظن أن جدي أطلق اسم ريدج واي على مزرعته لأن ساقيتها تندفع من الجبل .

تنهد باتريك :

- دايان عودي إلى الصخرة، واجلسي جامدة كي أرسم الخطوط الأولى للوحة. . ولنعد إلى العمل .

- آسفة .

وعادت إلى مكانها صامته .

وأحست بانزعاج فارغ لاكتشافها قدرته على الظهور غير متأثر بأي شيء حوله وهو يعمل .



## ٥

## لماذا هي مختلفة؟

أكمل باتريك عمله بصمت. . . حين استجمعت ما يكفي من شجاعتها سألته فجأة :

- اخبرني عن نفسك .

رفع حاجبه ساخراً :

- أتريدين تاريخ حياتي ؟

- لا تذكر التفاصيل، واخبرني ما تريدني ان أعرفه .

- أنا في الثالثة والثلاثين لي أخت أكبر مني، متزوجة ولها عائلتها. . . والداي ماتا وأنا وأختي طفلان. . حمانا عم لنا حتى استطعنا ان نقف لوحدنا في الحياة .

- ألا يزال عمك حياً ؟

- لا. . . مات منذ خمس سنوات .

- أنا آسفة .

بعد صمت آخر سألت مجدداً :

- إذا كنت بارعاً في الرسم فلماذا لم أشاهد لك لوحة من قبل ؟



www.elromancia.com

ـ لأنني لا أعرضها . . بل أبيع لوحة هنا ولوحة هناك لأمول مشروع بحثي الذي سيكون أساس كتاب أنوي تأليفه عن النباتات وأمراضها . لكنني أفكر فعلاً في إقامة معرض .

التفتت إليه :

ـ صحيح ؟

ـ إبقي جامدة بحق الله !

ـ آسفة . . متى تنوي إقامة المعرض .

ـ ربما بعد ثلاثة أشهر . . هذا يتوقف على مدى ما لدي من وقت له :

ـ وهل ستقيمه في لندن ؟

ـ أجل . . . هل تحسين بالتعب ؟

ـ قليـلاً .

ـ إذن علينا التوقف اليوم ، فالشمس تتحرك ونورها ليس في الاتجاه الذي أرغب فيه .

وقفت تحني ظهرها إلى الوراء لتريح عضلاته المتوترة :

ـ ألن تريني ما رسمت ؟

ـ لا !

ـ لماذا؟ ألن تريني الرسم أبداً ؟

ـ سترينه متى انتهى . . وأعدك ان لا يراه أحد قبلك . ما رأيك ؟

ـ لا بأس في هذا .

ـ أتودين أن أوصلك بسيارتي ؟

ـ المنزل ليس ببعيد للسير، خاصة بعد جلوس طويل .

ـ في الغد إذن ؟

ـ أجل . سأكون هنا .

راقبت اللاندروفر يقفز فوق الطريق غير المستوية . . ماذا فيه يجعله



يختلف عن الرجال؟ صحيح انه فقير مكافح يعمل في حقل اختصاصه لصالح العلم ليس إلا ، لكن ليس لهذا أي فارق في نفس دايان . . المهم لديها هو الرجل نفسه . . . وتمنت لو تفهم ماذا يجري لها . . ربما أمها محقة حين أشارت انها تفقد عقلها .

صباح السبت، وبعد ركوب مبكر لوبندل، كانت على وشك ترك طاولة الطعام مع أبيها حين جعلها صوت اقتراب سيارة ينظران إلى بعضهما بحدة وقال جاكوب :

ـ يبدو ان لدينا زوار .

قالت ريبيكا دون ظهور أي دليل على عقد ذنب :

ـ إنه ميتشل . . . اتصلت به خلال الأسبوع ودعوته لقضاء عطلة الأسبوع هنا .

صاحت دايان :

ـ فعلت ماذا ؟

ـ وصاح جاكوب في نفس الوقت :

ـ كيف يمكنك فعل هذا ريبيكا ؟

ردت الأم بعناد، دون ان يؤثر عليها غضب زوجها :

ـ حصلت دايان على أسبوع لتعود إلى عقلها . . والباقي على ميتشل .

دفعت دايان كرسيها إلى الخلف وقفزت واقفة :

ـ سأخرج من المنزل .

رنّ صوت الأم الحاد الأمر البارد في الغرفة حتى ان أعصاب دايان أصيبت بالارتجاف :

ـ لا! لن تخرجي . . سوف ترينه . . وستعطيه فرصة لإدخال بعض العقل في رأسك

- أمي . . . . أنا . . . .

- صباح الخير جميعاً .

استدارت دايان لترى ميتشل يدخل الغرفة، لكن نظرته كانت متجهة رأساً إلى الجسد النحيل المتوتر المرتجف للفتاة التي كانت تقف تنظر إليه ببرود من الطرف الآخر للغرفة .

- مرحباً دايان .

ردت بخشونة :

- مرحباً ميتشل .

كسرت ريبيكا الصمت المتوتر تقول بخفة :

- هل أقدم لك فنجان قهوة ؟

- سيكون هذا جيد . . شكراً لك سيدة ويلمر .

وجذب كرسياً لنفسه ليجلس معهم إلى الطاولة . وقال والد دايان بجهد واضح لحديث متحدث :

- لا بد انك تركت لنن باكراً هذا الصباح .

- تركتها في الخامسة صباحاً . . والداي يرسلان تحياتهما لكم .

ابتسمت ريبيكا :

- شكراً لك عزيزي .

وساد صمت متوتر مرة أخرى . . ثم تمتم جاكوب :

- لدي عمل أقوم به .

وغادر الغرفة دون ان ينظر إلى ميتشل . . . وأعلنت ريبيكا :

- وأنا لدي عمل في المطبخ .

بقيت دايان واقفة متصلبة على قدميها إلى ان أنهى ميتشل قهوته، ودفع فنجانه بعيداً عنه، ثم نظر إليها :

- أنخرج لنتمشى ؟



كادت دايان تنفجر في ضحكة عالية . . . ميتشل الذي يكره أي شكل من التعب الجسدي، يقترح عليها الخروج للتمشي، وهي تعرف تماماً انه يتمنى ان ترفض دعوته .

- إنها فكرة جيدة .

قال بعد ان انطلقا عبر المرج إلى جزء منعزل من الحديقة :

- دايان . . . كان أمامي وقت طويل للتفكير هذا الأسبوع . وأدركت انك محقة . . . لقد اعتبرت أشياء كثيرة على انها من المسلمات . و . . .

- أرجوك ميتشل إذا كنت ستطلب مني العودة عن فسخ الخطوبة . . فردي هو «لا»! فأنا كذلك كان أمامي وقت طويل للتفكير . . . وإذا لم أكن واثقة من قبل، فأنا واثقة الآن . لن استطيع الزواج منك مطلقاً !

أمسك يدها بيده بشدة :

- أحبك دايان .

همست بخشونة :

- أنا آسفة، أتمنى لو أقدر ان أشعر بشيء نحوك، لكنني لا أشعر . . وأعرف الآن انني لم أشعر بشيء إطلاقاً .

جادلها نافذ الصبر :

- أنت تصعبين الأمور . . أمك تقول .

قاطعته دون إخفاء عدائيتها من صوتها :

- أمي تقول أشياء كثيرة لارضاء نفسها . . تريدني الزواج مع عائلة آمنة اجتماعياً ومالياً . . وهذا كل ما يهمها .

- كيف تقولين هذا عن أمك ؟

- أقول هذا لأنه صحيح . . . انها لا تفكر بسعادتي . . . . بل بأن تستطيع ان تقول للناس متفاخرة ان ابنتها تزوجت واحداً من عائلة

سترنغر الثرية ذات النفوذ، وهذا ما يروق لها .

سألها متعجرفاً :

- وما الخطأ في هذا ؟

- لا شيء . . لكنني لن أتزوجك لأرضيها . . أنا آسفة . . كنت تعجبني، وتمتعت بصحبتك، لكن هذا ليس بالاساس المتين للزواج . . ولا بد انك تعرف هذا تماماً .

- دايان . . . .

وضع يداه على كتفيها، لكنها نفضتهما بحدة واستدارت لتواجهه .

- أظن أننا قلنا كل شيء يتعلق بهذا الموضوع .

- لكن . . .

- أهلاً بك لقضاء عطلتك هنا إذا رغبت . . لكن على أساس واضح ان لا يكون هناك سوى الصداقة بيننا .

- أنت . . . تطلبين المستحيل !

- إذن . . . الأمر عائد إليك في البقاء أو الرحيل . . .

واستدارت على عقبيها لتعود إلى المنزل بسرعة . وأمام ارتياحها، غادر ميتشيل المنزل بعد الغداء تماماً حين اختفت سيارته، وجدت نفسها تواجه أمها التي بدت غير قادرة على كبح غضبها .

- أنت مجرد طفلة عنيدة غبية دايان . . وأتمنى أن يكون أمامك بعد فرصة للعودة إلى عقلك .

ثم اختفت داخل البيت، تاركة الأب وابنته في الخارج . وقال الأب يضع ذراعه على كتفيها :

- إفعلي ما يمليه عليك قلبك يا ابنتي !

ولحق بزوجته على الداخل، والتعابير على وجهه تقول لابنته ان هناك مشاجرة نادرة الحدوث ستهب بين أبويها .



ذلك المساء، كانت تجلس وأبيها لوحدهما على التراس وقالت له مترددة :

- هناك شيء . . . شيء جدّي احتاج إلى مناقشته معك .

أشعل أبوها غليونه . . . وعلى ضوء عود الثقاب شاهدت وجهه يبتسم مشجعاً وهو يقول :

- كما كنا منذ زمن . . أليس كذلك ؟

هزت رأسها إيجاباً مدركة انه مر زمن طويل منذ أحست انها بحاجة لأن تثق بأبيها وان تطلب منه النصيحة :

- أجل . . .

- لاحظت خلال العشاء أن هناك ما يزعجك . ما المشكلة يا ابنتي .

- ماذا يعني . . . ماذا يعني حين تجد نفسك تريد قضاء أية لحظة تتوفر لديك مع شخص ما . . . ولو حتى لمجرد النظر إليه، أو الاستماع إلى صوته ؟

- وهل هناك شخص محدد يجعلك تشعرين هكذا ؟

- أجل . . . .

- باتريك أولينشو ؟

شهقت دايان بحدة :

- وكيف عرفت ؟

- مجرد رمية من غير رامي . . ليس إلا .

- أبي . . . . لست أدري ما بي . . . حين أكون بعيدة عنه لا استطيع إخراجه من تفكيري . . وحين أكون معه . . لا أحس سوى القناعة والرضى . . أنا أحس وكأنني وتر مشدود بحاجة للانطلاق، ولا استطيع .

- ألم تشعري بمثل هذا من قبل ؟

- هزت رأسها يائسة :

- أبـداً !

- استطيع القول انك مصابة بكمية كبيرة من فيروس سيىء الطباع اسمه الحب .

كلماته أرسلت موجات صدمة إلى أعصابها وهمست :

- الحب؟ آوه . . لا . . لا أظن . . . .

- ألا تظني ؟

- لكنني بالكاد أعرفه !

- لا معنى للوقت فيما يتعلق بالحب . . . أول مرة التقيت فيها أمك عرفت انني أحببتها، وأردت الزواج منها .

- لكن ما أحس به هو حالة جسدية . .

- والحب يتملك الجسد والقلب معاً . فهو لا يعني فقط ان ترغبي في ان تكوني مع شخص محدد، بل ان يكون معك في تفكيرك كذلك، وجسدك، وروحك . . ولا طريقة لإظهار الحب إلا عن طريق الجسد . وهذا لا يفكر فيه المرء فقط بعد الزواج، بل قبل الخطوبة أيضاً .

- أنا لا أستطيع الابتعاد عنه دون التفكير فوراً فيما إذا كنت سأراه ثانية .

- إذن . . أظنك حصلت على جواب لحدتك .

- أمسكت بذراع أبيها بقلق :

- لن تقول لأحد أبي . . أليس كذلك ؟

رد بحزم :

- أنا حتى الآن لم أقل لأمك أي شيء من أسرارنا المشتركة .

انحنت لتقبل أباها على خده الخشن وقالت هامسة :

- شكراً لك .



بعد دقائق تركته إلى غرفتها . . ولم يكن في نفسها أي فرح لمعرفتها انها تحب باتريك، بل تزايد للتوتر والاهتياج العصبي لم تعرفهما من قبل .

ماذا لو لم يكن يهتم بها؟ صحيح انه قال انها جميلة، وانه عانقها قليلاً . . لكن هذا لا يعني انه يحبها . . . انها واثقة ان هناك العديد من النساء دخلن حياته وخرجن دون ان يتركن أي ندم في نفسه . . لماذا . . . . إذن . . قد يشعر بشكل مختلف حولها ؟



www.elromancia.com

## ٦٠.

# كم بقي من الزمن؟

تجمعت السحب ليلة السبت وأمطرت السماء بشكل متواصل واستمرت هكذا ليومين آخرين . . مما جعل من المستحيل على دايان ان تلتقي بباتريك في مكانهما المعهود .

صباح الاثنين، ارتدت معطفها الواقي واتجهت إلى مقطورته لتجدها مقفلة واللاندروفر مختفية . . وكررت نفس الشيء صباح الثلاثاء، لكن ما من شيء تغير .

في كلا اليومين عادت إلى المنزل تحس بالبؤس والبلل . وبتنهيدة ارتياح أخذت تراقب الشمس تطل من بين الغيوم بعد ظهر الثلاثاء . . تلمع النجوم تلك الليلة في السماء، واعدة بيوم قادم من الدفء والشمس . . صباح الأربعاء تركت المنزل متجهة نحو الشلال . . لتجد باتريك هناك يتكيء بعفوية إلى جذع شجرة يدخن سيكاره كما يفعل عادة حين ينتظر قدومها . . ودون ان يلتفت قال بخشونة :

ـ تأخرت !

ـ لم أكن واثقة انني سأجدك هنا .



ـ ولماذا لا أكون هنا ؟

ـ لم تكن في المقطورة يوم أمس، ولا اليوم الذي سبقه .

ـ كانت السماء تمطر، وكان لدي عمل في مكان آخر . . . هل افتقدتني ؟

ـ وهل يرضي غرورك لو قلت لك نعم ؟

ـ لا أطلب منك غزلاً . . مجرد نعم أو لا .

ـ نعم . . . افتقدتك .

ـ التفت إليها يتفرس في وجهها للحظات، ثم دس يديه تحت شعرها، يملأ قبضتاه بكثافته الحريرية . . . وأحست بالاثارة الحادة تمتد حتى نخاع عظامها . أخذت ترتجف حين انخفضت يده على ظهرها ليضمها إليه لتحس فوراً باجتياح أرسل ألماً غير مألوف في جسدها ليشل أطرافها . . كل ما استطاعت ان تفعل، انها تنهدت، ورفعت ذراعيها لتشبكهما حول عنقه في جهد غير واعي لتلتصق به أكثر .

قال أخيراً :

ـ إذا كنا سنبدأ يومنا هكذا . . . فلن أتمكن من إنهاء الرسم أبداً . . . فأنت ساحرة خبيثة تحولين اهتمامي بسهولة عن عملي .

تراجعت عنه تنظر إليه متسائلة :

ـ باتريك . . .

ـ اجلسي هناك . . . وكوني عاقلة . . . استرخي ولا تتحركي .

ـ أنا آسفة .

لكن كان صعباً عليها ان تسترخي في وقت تحس به في كل عصب وعرق ينبض في جسدها . . انها تحبه . . تعرف هذا الآن دون شك . . ولو انه مجرد متشرد مفلس، لن يكون حبها له أقل . وستتبعه حتى آخر الدنيا لو طلب منها . . وهذه الحقيقة المجفلة جعلتها تدرك تماماً إلى أي

مدى وصلت فيه مشاعرها نحو هذا الرجل .

أخيراً قال باتريك :

ـ هذا يكفي اليوم .

قوست ظهرها بحذر ثم مددت ساقيها، وانضم إليها فوق الصخرة وأخرج علبة السجائر، فراقبته وهو يشعل أحدها . . . ثم قال وكأنه يعكس ما تفكر به :

ـ هذه المياه تبدو لي مغرية .

تمتمت !

ـ صحيح .

ـ هل لنا أن . . . .

ليس معي ثوب سباحة .

ـ ولا أنا . . . .

شهقت، وقبل ان تستفيق من صدمة ما يوحي به قال :

ـ بإمكانك دخول الماء أولاً .

وهل ستجلس لتراقبني ؟

ابتسم ساخراً :

ـ سأكون سيداً مهذباً لأول مرة، وأدير ظهري . نظرت إليه دايان متأملة مفكرة . . . . أكثر من مرة اذعنت لإغراء مياه هذه البركة لكنها كانت لوحدها . . . ومع انها تعرف مدى المخاطرة، إلا ان الإغراء ركز نفسه في مياه البركة المنعشة ليحثها على القرار .

أحست بالتصلب، المبادىء المتزمتة التي تربت عليها، والتي عاشت دائماً تعشش في رأسها، أخذت تطلق صفارات الإنذار . . وأحست بالرعب . لكنه وضع ذراعه حول كتفيها، وكان لجسدها رأي خاص به . فذابت على كتفه . . كتفاه كانتا قويتان تحت أصابعها وهي تتعلق



به . . ولم تعد تحس بالخوف، بل أطبقت ذراعيها ثانية على عنقه، وبإلحاح لم تعرف مثله من قبل، فقدت خجلها، كل جسدها يشعر بانثويته . أكثر من قبل . كان هذا لها تجربة جديدة من نوعها، ان تعرف ان لها القدرة على جذب رجل إليها . . لكنها بقيت تراوغه، ضحكاتها ترن مع الشلال . . وهي تتلوى مبتعدة عن مناله . . لكنه بقي متفوق عليها . . وأمسك بها عدة مرات، ولم يكن لديها قوة على المقاومة في كل مرة . . ثم كان يسمح لها ان تفلت من يده مجدداً . . . وكانت تعرف انها تلعب بالنار . . لكن لسبب غريب . . لم تكن تهتم .

ـ سمعت صوتها يأتي من بعيد وكأنه ليس لها :

ـ باتريك . . أحبك باتريك .

انتظرت بأنفاس مكتومة ردة فعله . . هل سيضحك عليها . . . . هل سينبذها؟ لكنه لم يفعل أي من الاثنين بل التوت شفتاه وهو يسألها :

ـ صحيح ؟

ـ وانتهت اللحظات السحرية فجأة . . لتحس دايان انها ضائعة مهجورة حين تركها، ليسير مبتعداً عنها . . وأخذت ترتجف وهو يجمع أدوات رسمه ويطوي حامل اللوحات . بدا لها بعيداً متحفظاً وكأنه لا يعي وجودها . . وأحست بالألم لابتعاده عنها هكذا . . . كانت تريد مشاركته أفكاره . . . تريد ان تكون جزءاً من أحلامه . لكن ارتياباً رهيباً تملكها، بانها حين تفوهت بمشاعرها نحوه، تسببت بارتفاع جدار منيع من الصمت بينه وبينها .

قالت في محاولة يائسة لكسر الجمود :

ـ سأذهب إلى البلدة بعد ظهر اليوم . . أتريد شيئاً من هناك؟

نظر إليها ببرود :

- بإمكانك السؤال في الفندق إذا كان هناك بريد لي .

- سأفعل . . لا شيء غيره ؟

- سخرت عيناه بها لحظة، لسبب تجهله، فأحست بخديها يحمران حرجاً. ثم شدها إليه !

- لا احتاج لشيء سوى هذا .

بدلاً من ان تحس بالاثارة لعناقه مجدداً، أحست بالبؤس، وانها فجأة وحيدة . . . كانت ترتجف بالرغم من حرارة الشمس ولمع شيء في ذهنها، ربما هاجس داخلي محذّر . . . انها صورة مراوغة ضبابية لا ترغب في التفكير بها كثيراً لكنها مع ذلك لم تنجح في ابعادها، أو ابعاد تصور الفراغ الذي يلوح أمامها . . شيء ما سيحدث . . وهذا ما كان يخيفها .

نظر إليها يقول بخشونة :

- إذا كان الطقس مناسباً أريدك غداً عند المقطورة .

- المقطورة ؟

- أجل . . انهيت الخطوط الأساسية، وأريد الآن ان أركز على وجهك، ولأجل هذا لا نحتاج إلى مياه شلال «دموع العذارى» .

ردت متصلبة :

- أراك في الغد إذن .

واستدارت لتبتعد عنه .

على مائدة العشاء تلك الأمسية، تحدث جاكوب وابنته لوحدهما . . أما ريبيكا فقد كانت قليلة الكلام بشكل غريب منذ يوم زيارة ميتشل الأخيرة . تبقي رأيها لنفسها، ولا تتكلم إلا في حالة الاضطرار القصوى . . مع ذلك أحست دايان ان في الأفق شيء يختمر . . وارتجفت لمجرد التفكير بما قد تقوله أمها لو عرفت ان ابنتها وقعت في حب ذلك المفلس . . . .



تلك الليلة نامت نوماً مضطرباً . . كانت نتيجته انها أحست بالارهاق قبل انتهاء الجلسة مع باتريك في الصباح التالي . . لكنها تابعت الجلوس دون تذمر إلى أن أحست بتصلب ظهرها وكتفيها وعنقها . . وسألها باتريك في نفس اللحظة التي قررت فيها أنها لم تعد قادرة على الاحتمال :

- متعبة ؟

- هزت رأسها موافقة . ولدهشتها جاء من وراءها وبلطف أخذ يدلك عنقها وكتفيها يريح العضلات المتألمة :

- أتشعرين أفضل حالاً ؟

- تمتمت وهي مغمضة عينيها تتمتع بلمسة يديه اللتان تثيران أحاسيس مريحة، لا علاقة لها بالتدليك :

- همم . . . . أجل !

استندت إلى الوراء نحوه فأحست به يتصلب، وقبل أن تعرف ما ينوي كانت يداه قد اشتدتا على كتفيها ليرفعها، تقريباً محمولة وتقف بين ذراعيه . . وأحست بحرارة حميمة تكاد بسرعة تعتاد عليها الآن . . وارتفعت مشاعرها إلى تلك المرتفعات الغامضة التي لم تعرف مثلها . . قبل ان يتركها، لتقف مندوخة مرتجفة، ويقول :

- اقترح ان تصنعي لنا بعض القهوة .

كادت تكرهه لهدوئه المقرف في وقت كانت فيه تتصارع مع المشاعر التي تشتت في داخلها وكأنها أوراق الشجر التي يبعثرها الريح .

نفذت دايان ما طلب، لكن دون تفكير تقريباً . . وخرجت من المقطورة بعد قليل وكوب من القهوة في كل يدي من يديها .

- متى تنتهي اللوحة ؟

- في الأسبوع القادم كما آمل .

- أنا توافة جداً لرؤيتها .

- سترينها في الوقت المناسب . . هل سمعت شيئاً من أخبار ميتشل مؤخراً ؟

- لا . . . لمَ تسأل ؟

- مجرد تساؤل .

تنهدت ، ثم قالت بهدوء :

- لا أتوقع ان أراه ثانية .

- تبدين حزينة لهذا .

- هذا لأنني . . .

- لا زلت تهتمين بأمره ؟

- بطريقة ما . . . كنت مولعة به ، واعلم انني آلمته .

رد بصوت ساخر :

- لا بد انك كنت أكثر من مولعة به لتوافقي على الزواج .

- ظننت انني أحببته .

- وما الذي جعلك تظنين انك لا تحبيه ؟

نظرت إليه بحدة وقطبت :

- لأنني أعرف انني لا أحبه .

التوت ابتسامته :

- متأكدة ؟

سمعت نفسها تضحك بعصبية :

- طبعاً ! . . هاي ما كل هذا؟ لمَ كل هذه الأسئلة عن مشاعري نحو ميتشل ؟

- انهى باتريك ما تبقى في كوبه من حليب ووضع الكوب على العشب قرب كرسيه ، ثم رفع عيناه الرماديتان الباردتان ليثبتها عليها



دون رحمة

- لأنني لا أظنك تعرفين ما تريدين .

- وما الذي يجعلك تقول هذا ؟

- نادراً ما تثبت النساء على رأي . . يتصورن أنفسهن واقعات في الحب لحظة ، وفي التالية يبدأن برمي شباكهن على شخص آخر .

ارتفع الامتعاض والغضب في نفسها ، وقالت متصلبة :

- أرجو أن تغير الموضوع .

- لماذا؟ أتؤلم الحقيقة هكذا ؟

- بدأت تزعجني .

ووضعت كوبها إلى الأرض ووقفت . . فقال ساخراً دون رحمة :

- ألا تحبين ان ترى حقيقة نفسك عبر نظرة الآخرين ؟

- أهكذا تنظر إليّ؟ فراشة دون تفكير تطير من رجل إلى الآخر بحثاً عن الاثارة ؟

- لا شيء لدي أقدمه سوء الاثارة دايان . . . . لكن مع ميتشل لا شك ان مركزه الاجتماعي وثراءه هما اللذان جذباك إليه . فما الذي سيجذبك تالياً يا ترى ؟

ابيض وجهها من الغضب ، وردت ببرود :

- في هذه اللحظة وجهك يجذب يدي .

- إذا كان هذا يريح إحباطك . . فافعلي .

ضحك بشكل يبعث الغيظ ، فاستدارت عنه لتبتعد . . لكنه قال بحدة :

- إلى أين تظنين نفسك ذاهبة ؟

ردت بحزم دون ان تتوقف :

- إلى المنزل .

ـ اوه . . لا . . . لن تفعلي .

وبسرعة خارقة أمسك معصمها وأدارها نحوه، فاحتجت بشراسة، وعيناها تقدحان شرراً :

ـ آوه . . . بلى . . . سأفعل ! لن أبقى هنا لأصغي إلى المزيد من . . . .

ـ لكنها صمتت ذهولاً حين احتواها ثانية بين ذراعيه محاولاتها الخلاص من قبضته المعاقبة باءت بالفشل حين دس أصابع يده في شعرها عند مؤخرة العنق وضغط وجهها إلى صدره . . كان العقاب سريعاً . لكن كافياً، حوّل بقدرة خبير، أطرافها إلى ماء، وجذب التجاوب منها، وأرسل الدم يتطاير بسرعة البرق عبر عروقها . . ثم قال وشفتاه في شعرها :

ـ أنت لا تريدين الذهاب حقاً . . . أليس كذلك ؟

ـ أفضّل الذهاب على متابعة هذا الجدل السخيف معك .

ـ أكنت تجادليني ؟

ـ أبعدها قليلاً عنه، يمسكها على بُعد ذراعيه، فتمتمت .

ـ كنت تقول أشياء رهيبة كريهة .

ـ لكنني رجل كريه . . . ألا تعرفين هذا؟

ـ كن جاداً باتريك . . وكن صادقاً معي كما أنا صادقة معك .

ـ وهل كنت صادقة معي حقاً ؟

ـ ألم أصل إلى درجة الجنون لأقول لك انني أحبك؟ فما الذي تريدني ان أفعله لأقنعك بصدقي ؟

ـ إبقي معي الليلة !

توقفت أنفاسها في حلقها . . وسألت بهمس :

ـ وهل يقنعك هذا ؟



ـ ربما .

ـ يبدو عليك الشك .

التوى فمه بابتسامة ساخرة .

ـ هناك إمكانية ان احتاج إلى الاقتناع أكثر من مرة .

ردت بحدة تنتزع شعرها من أصابعه :

ـ لا أظنك بحاجة للاقتناع بأي شيء . . . كل ما تسعى إليه، هو علاقة عابرة .

ـ أنت محقة طبعاً . . . أجد نفسي وحيداً هنا خلال الليل .

نظرت إليه نظرة جريح غاضب :

ـ أنت تسخر مني !

ـ يجب ان تعترفي ان هناك جانباً مسلياً للوضع .

ـ أجل . . اعتقد هذا . . لكنني لست في مزاج مرح لأتسلى في هذه اللحظات !

تنهد :

ـ دايان . . . أتعرفين ما هي مشكلتك ؟

ـ ماذا ؟

ـ تنظرين إلى الحياة بجدية .

ـ وأنت لا تنظر إليها هكذا . . صحيح ؟

ـ رد بتنازل مثير للغيظ :

ـ لا استطيع تحمل النظر إلى النساء بجدية . . ما من امرأة ترضى بالعيش في نفس النوع من الحياة التي اتمتع بها .

كادت تقول : أنا أفعل ! لكنها عضت شفتيها وقالت :

ـ إذا أحبتك امرأة . . . فستفعل .

ـ هذا هراء عاطفي ! النساء ترغب في الأمان : منزل . . أولاد وإذا

كان الرجل لا يستطيع تأمين هذا . . . تتركه لتفتش عما تريد في مكان آخر .

نظرت إليه يائسة . . وقالت ببرود :

ـ لن أتجادل معك .

ـ هذا جيد . . لأنني أريد إنهاء اللوحة .

عادت دايان إلى مقعدها مكرهة . . لكن حديثهما بقي يدور في رأسها حتى وهي متجهة إلى المنزل . . . واستمر هكذا إلى أن أحست انها لا يمكن ان تكون يائسة أكثر .

وحده الزمن قد يقنعه . . لكن ما يقلقها هو انها لا تعرف كم من الزمن لديهما معاً .



## ٧

# الهجران

كانت دايان تدخل غرفة الطعام لتناول الفطار صباح الجمعة حين لمحت سيارة تختفي من أمام الطريق الداخلية للمنزل . . . الفضول دفعها للإسراع نحو النافذة، ثم سألت أمها بعد ان دخلت :

ـ من هذا ؟

ـ قالت إن اسمها تيا كواين، وتبحث عن السيد أولينشو.

نظرت دايان إلى أمها مفكرة .

ـ وهل ارشدتها إلى مكانه ؟

ـ ابتسمت ريبيكا وكأنها تتمتع بهذا :

ـ طبعاً . .

ـ جلست مع أمها لتكتفي بفنجان قهوة فقط . . من هي تيا كواين وماذا جاءت تفعل في ريدج واي؟ أكان باتريك يعرف إنها قادمة ؟

مصممة على لقاء المرأة، غادرت المنزل في ساعتها المعهودة للتمشي . . واتجهت نحو الساقية حيث تقف مقطورة باتريك، لتجد سيارة فاخرة تقف في ظل شجرة إلى جانب المقطورة .



www.elromancia.com

كائناً من تكون تيا هذه، فهي لا شك ثرية !

حين اقتربت، شاهدت ساقين ناعمين عاريين، كانتا كافيتين لأن تشد دايان على أسنانها، ما تبقى من الزائرة كان يختفي وراء جسد باتريك الضخم .

ضربت قدمها، صدفة، بحجر صغير . فاستدار باتريك ونظرة سخط على وجهه، جعلت دايان تنكمش مع إحساس رهيب بانها مجرد متطفلة .

مرحباً دايان .

صوته بارد لا انفعال فيه، وأحست دايان بالكراهية حين وقع نظرها على المرأة . انها شقراء جميلة، بذلتها الزرقاء الشاحبة مشتراة بكل تأكيد من أفخم محلات لندن . . . حولها جو لا ريب فيه من التأنق والحنكة، عيناها البنيتان تعكسان ذكاء فوق المستوى المعروف . . وقالت دايان :

ـ قالت أمي ان لديك زائر .

ـ أودك ان تقابلي تيا كواين . . . انها . . . صديقة مقربة لي . . تيا هذه دايان ويلمر .

ـ قالت تيا بصوت أجش مثير جذاب :

ـ أنا سعيدة لمقابلتك دايان .

ولمع صف أسنان رائع أبيض من بين شفتين مرجانيتا اللون، على شكل ابتسامة . . وقال باتريك :

ـ أخشى ان أكون مضطراً لإلغاء الرسم هذا الصباح دايان . . . لدي عمل أقوم به، سيأخذ نهاري كله .

ـ أفهم هذا . . وأتمنى لك نهاراً سعيداً .

استدارت لتكمل طريقها، دون الالتفات ثانية إليه خوفاً من ان



يلاحظ دموعها . . .

عمل ! . . . ما هو نوع العمل الذي يجعل رجلاً مثل باتريك ينشغل طوال النهار، ويشمل امرأة حلوة رائعة مثل تيا كواين؟ صحيح انه جوّال، مفلس، لكن من الواضح ان له ذوق في النساء . . من طبقة معينة وثراء .

كانت كمن يغرز سيفاً مؤلماً، إلى أعماق قلبها مع كل فكرة كانت تلمع في رأسها . . لكنها لم تكن قادرة عن فعل شيء إزاء هذا . . . فهي لم تكن تتحمل تصور امرأة أخرى بين ذراعيه .

عادت دايان إلى المنزل، لتكون عودتها بداية يوم يائس طويل، تجرر الدقائق فيه نفسها كساعات . . . ولم يعد باتريك إلى المزرعة حتى وقت متأخر من مساء الأحد . . . والصدفة وحدها جعلتها تسمع صوت سيارته تهدر عبر الوادي متجهة إلى مقطورته . . لكن عودته لم تعطها الراحة، وأمضت ليلة قلقة تتساءل أين كان، وإلى أي مدى تيا كواين مسؤولة عن غيابه .

حين استيقظت صباح الاثنين، قررت ان لا تذهب كعادتها إليه . لكن بتقدم النهار أخذت تندم على قرارها . . فهو لم يغادر أفكارها لحظة، والبقاء بعيدة عنه كان بمثابة عقاب، لكنها كانت مصممة على أن لا تستسلم لهوى قلبها .

صباح الثلاثاء خرجت في نزهة على ظهر جوادها . . وكان ويندل قد أصبح معتاداً على الطريق التي تسكلها، حتى انه أخذ يقفز خبباً دون توجيه منها . . وأخذت تتمع بهذه النزهة الصباحية عبر الوادي المفتوح، والاحساس بجسم ويندل القوي تحتها، والريح تصفّر في اذنيها . . . كانت ذلك الصباح هادئة، تفكيرها خال من أي فكرة مزعجة . لكن، نظرة واحدة عبر المرج الواسع باتجاه مخيم باتريك جعل أفكارها تنشط

من جديد . . وعلمت ان ما تبقى من النهار سيكون عذاباً لها .

ـ كان ويندل يعود بها إلى المنزل، حين وقف باتريك في وجههما . . أحست فجأة بالخوف، وكادت تحث ويندل على ان يسرع ليتجاوزه . . لكن يديها اشتدتا آلياً على اللجام فخفف الجواد سيره إلى ان وصل إلى جانب باتريك، فسألها بخشونة :

ـ أين كنت بالأمس ؟

وأمسك سرج ويندل بيده، فاجفل الجواد ورفع أذنيه يحتج على خشونته . . ردت بحدة :

ـ وما يهمك ؟

ـ طبعاً يهمني .

ـ وأين كنت أنت في نهاية الأسبوع ؟

ـ كنت مسافراً في عمل . . لكن أين كنت أنت بالأمس ؟

ـ في المنزل .

ـ لماذا لم تأتِ لمتابعة الرسم ؟

ـ وكيف لي أن أعرف انك عدت ؟

ـ تعلمين جيداً انني كنت انتظرك طوال الصباح .

ـ لست أملك قدرة العلم بالغيب . لو احتجتني لوجدت طريقة لإعلامي .

ـ أنت تتصرفين كطفلة مشاكسة دايان .

ضحك على غير توقع . . لكن ضحكته أشعلت نار غضبها إلى لهيب . . . فقالت آمرة ببرود :

ـ انزع يدك عن سرج الجواد .

سأتركك حين تبدأين بالتأدب !

لم تستطع دايان فيما بعد ما الذي دفعها إلى ما فعلت . . لكنها



لحظتها . . رفعت سوطها، ووجهت إلى خده الأيمن ضربة قاسية . . وبذعر، حدقت في الأثر الأحمر القاتم الذي بدأ يظهر على بشرته من الصدغ حتى الذقن . . وقبل ان تتمكن من فعل شيء، كانت تُنتزع عن صهوة جوادها لتتكوم تحت قدميه، وانتزع السوط من يدها ليقسمه إلى قطعتين فوق ركبته، ثم جرّها لتقف ولف ذراعيها خلف ظهرها، ثم صدمها بصدره القاسي كالجدار . وبطعم الدم في فمها، أحست بالعجز بين ذراعيه القاسيتين المعاقبتين . . ولم تستطع فعل شيء سوى تحمل الألم، وكانت ترحب بموجة الظلمة التي كانت تهدد باجتياحها . . .

أخيراً تمكنت من التنفس :

ـ أتركني أيها المتوحش !

ـ ستعودين إلى مقطورتي بعد ساعة . . وإلا سأجيء بنفسي لآخذك . . وأعدك، لن أكون لطيفاً معك .

صاحت وعينيها تحترق بدموع ساخنة :

ـ بإمكانك الذهاب إلى الجحيم !

جهدها العقيم للتخلص سبب لها المزيد من الألم . . بيد واحدة كان يمسك بكلتا ذراعيها وراء ظهرها، وباليد الأخرى أمسك حفنة من شعرها يشدها ويتسبب باندفاع جديد للدموع للألم الحاد في جلدة رأسها . . . فتوسلت إليه :

ـ لأجل الله باتريك . . توقف عن هذا !

ـ أتعتذرين عن ضربك لي ؟

ـ أجل . . . أجل . . أعتذر .

ـ ولن تفعلي هذا ثانية ؟

ـ أجل . . لن أفعلها ثانية .

ـ إعتذري إذن . . . اللعنة عليك !

ـ أعتذر لضربي لك .

ـ الساعة تقلصت إلى ثلاثة أرباع الساعة .

دفع برأسه إلى الأمام حتى أصبح خده ملاصقاً لفمها ولم يعد أمامها سوى ان تطبع شفتيها فوق أثر السوط على خده فقالت بصوت هامس جش :

ـ سامحني :

أفلتها، فسارت بسرعة إلى حيث كان وبندل يقف يضرب الأرض قائمتيه الأماميتين بنفاذ صبر :

ـ سأكون عندك تحت تصرفك في الوقت المحدد .

أصبحت على صهوة جوادها تسابق الريح ، قبل ان يرد، وكان في لبها أغنية . بهيجة لا يقاطع بهجتها سوى الندم . . ما كان يجب ان ضربه . . . انها غلطة لا يمكن غفرانها، ولقد استحقت العقاب .

لم تتأخر في المنزل سوى لتأخذ قطعة توست وفنجان قهوة ونسيت تيا كواين، ولو مؤقتاً، وسرعان ما كانت تجلس على كرسي مرتفع ، لتمضي ساعة قبل ان تقفز صورتها إلى ذهنها فكسرت الصمت :

ـ إنها جميلة .

ـ من ؟

ـ تيا كواين

ـ أجل . انها كذلك .

ـ منذ متى تعرفها ؟

ـ سنتان .

ـ أكان هناك نساء غيرها خلال هذه المدة ؟

ابتسم ساخراً:

ـ القليل .



ـ أنا مندهشة انها لم تعارض .

ـ بيننا تفاهم تام .

ـ لا بد انها فريدة من نوعها .

ـ لا يمكن إيجاد امرأة مثلها دائماً .

ـ وهل ستتزوجها يوماً ؟

ـ الزواج لا يناسبنا ، وما بيننا من اتفاق يقارب الكمال .

تنهدت بتعاسة :

ـ فهمت

ماذا هناك بعد ليقال؟ ماذا تستطيع بعد ان تقول؟ . . . انها حمقاء لوقوعها في حبه . . لم يطلب منها ان تحبه . . . وهذا ما يتركها بالضبط، في لا مكان . .

سمعت باتريك يضع الختم ليثبت بؤسها .

ـ لن أحتاجك في الغد . . اللوحية انتهت، سوى من بضع لمسات أخيرة .

ـ هل استطيع رؤيتها ؟

ـ قلت انك لن ترينها قبل إنتهائها .

ـ ومتى يكون هذا ؟

ـ لست واثقاً .

تنهدت . . ورعدة مفاجئة من الوحشة تتملك، قلبها لإدراكها انه يبعدها عن شيء تمنت لو تشاركه فيه :

ـ حسناً . . الأفضل ان أذهب

ـ أجل . . . هذا أفضل .

ـ باتريك ؟

ـ نعم ؟

نظرت إليه، ثم ابتلعت المرارة التي علقت في حلقها :

ـ لا شيء . .

تمنت دايان لو تستطيع فهمه . . لكن الأكثر، انها كانت تأمل لو أنها تفهم نفسها . مرتين قالت له انها تحبه لكن بدلاً من ان يفتح اعترافها الباب إلى نوع من المستقبل، فقد اصطدمت بجدار صلب . ولن تصدق أبداً ان اهتمامه بها كامرأة، ينتهي عند ذلك الجدار .

قالت لأبيها بعد ظهر اليوم التالي :

ـ أتظن انني استطيع دعوة باتريك للعشاء ؟

ـ لا أرى سبباً يمنع .

ـ لكن أمي ستعارض .

ـ استطيع اقناعها . سأتحدث إليها هذا المساء، ولا داعي للقلق .

بدا كل شيء طبيعياً حتى المساء . . . أرادت ان تسير إلى ان تصل إلى مقطورة باتريك . . لكن أمها حضرت العشاء باكراً . . وأعلنت بعده وهم يتناولون القهوة :

ـ أظن يجب ان تعرفي دايان . . السيد أولينشو رحل

ـ رحل؟ إلى أين ؟

ـ ردت الأم ببرود :

ـ وكيف لي ان أعرف ؟

ـ أتعني انه سافر في عمل ؟

ـ لا . . بل أخذ مقطورته ورحل إلى مكان مجهول .

ـ أترك رسالة لي ؟

ـ لم يفعل . . . حضر عند الظهر وأنت مع والدك في الحقول ليقول انه راحل، وطلب ان أشكر أباك لسماحه له بالاستفادة من مراقبة المزروعات في المزرعة .



اصفر وجه دايان، وأحست بألم حاد، ثم همست :

ـ يا إلهي !

ـ فتابعت الأم باستخفاف هازىء :

ـ استطيع تصور سبب انزعاجك دايان . . لكنه ليس سوى متشرد . . ولن يكون شيئاً غير هذا .

ـ لن أهتم ولو كان شحاذاً قذراً . . . لأنني أحببته أمي .

صمت رهيب، ثم ضحكت الأم :

ـ لا تكوني سخيفة !

ـ إنها الحقيقة .

ـ حسناً . . . واضح انه لم يكن يبادلك مشاعرك .

قاطعها جاكوب بحدة :

ـ ريبيكا !

لكن دايان كانت قد وقفت لتخرج كالعمياء من الغرفة ودخلت إلى غرفتها تقفل الباب وراءها . . . صحيح انها لم تجرؤ على الأمل كثيراً . . لكن . . الله وحده يعلم انها لم تكن تتوقع هذا . . أكانت تعني له القليل حتى انه اقتلع مخيمه وخرج من حياتها بهذه الطريقة الظالمة !

ووجهها مدفون تحت الوسادة بكت، ومزقت جسدها تنهيدات نحيب شرسة . . إلى ان استلقت وقد جفت دموعها وأرهقت . . حين دخل والدها الغرفة . . جلست ببطء تنظر إليه بعينين حمراوتين . . فقال لها بهدوء :

ـ آسف دايان . . آسف يا ابنتي .

تنهدت متعبة :

ـ آوه يا أبي . . ماذا سأفعل ؟

ـ أتمنى لو لدي الرد على هذا .

- كيف يستطيع السفر دون كلمة كلمة وداع ؟
- رأيته بالأمس . . فهل حدث شيء بينكما ؟
- قال لي ان اللوحة انتهت، ولن يحتاجني ثانية . . ثم . . .
- ثم ماذا ؟
- بدا مشغول البال . . ووجدت الأمر غريباً . . لكنني اقنعت نفسي بانه قد يكون مشغولاً بأمر طارىء . . . هذا كل شيء .
- لست أفهم هذا .
- ولا أنا أبي . . أتمنى لو انه قال شيئاً . . بدلاً من الذهاب هكذا .

تلك الليلة اجتاحتها موجة جديدة من البكاء، ونامت تلك الليلة مرهقة، لم تستيقظ خلاله إلا صباحاً، لتخرج إلى نزهة طويلة على ظهر ويندل . . . رائحة البرية وأزهار الربيع، والجواد وجلد السرج كان يملأ أنفها لكن بدلاً من الراحة والاسترخاء الذي كان يتسبب كل هذا لها به، لم تكن تشعر سوى بألم معذب رهيب لمعرفتها انها فقدت شيئاً حيوياً لها .

قرب الساقية، حيث كان مخيم باتريك، ترجلت عن جوادها لتربطه إلى شجرة، ثم ركعت قرب الماء لتضع يدها فيه، هنا المكان الذي شهد حبهما . . لا . . لا . . . بل شهد حبها لوحدها . . . بينما هو كان يقوم باختبار مدى استعدادها لمجاراته وإلى أي مدى .

مسحت شفتيها بظهر يدها، وما هي إلا لحظات حتى كانت قد قفزت إلى السرج، وحثته على جري مجنون، ليصيغها بطاقة لا تتعب .

انتظرت دايان أسبوعان قبل ان تتمكن من اقناع نفسها ان باتريك لا ينوي مطلقاً إعادة الاتصال بها ولو كتابة . . . وفي صباح يوم اثنين كئيب وضبت حقائبها وأبلغت أبويها انها عائدة إلى لندن . . وفهم والدها، مع ذلك فقد رجاه ان تبقى، بينما بقيت الأم صامتة . . وهي تبتعد عن



المنزل أحست بالوحدة القاتلة التي تنبأت لها بها يوماً، تصبح حقيقة .

لماذا تركها هكذا ؟ لماذا لم يكتب لها؟ ولماذا قدّر عليها القدر ان تحب رجلاً لن يهتم بها مطلقاً ؟

لندن لا زالت بعيدة عنها . . . وعليها ان تتابع حياتها وتحصل على عمل . . .



www.elromancia.com

## ٨٠

# لم يندمل الجرح بعد

كانت دايان تفتخر دائماً بنفسها انها إنسانة واقعية . . متعقلة . . وبالرغم من هفوتها في هذا المجال، إلا انها سرعان ما تمالكت نفسها، واتصلت بمخدومها السابق، الذي كان لطيفاً بما يكفي لعرض وظيفة مؤقتة عليها، مع إمكانية حصولها على عمل دائم فيما بعد .

البؤس، والشوق، أصبحا جزءاً لا يتجزأ من وجودها اليومي . . ولم تستطع إطفاء شعلة الأمل الضئيلة في ان يتصل بها باتريك . . لكن بعد مرور ثلاثة أسابيع في لندن . . . خبت كل آمالها وتحولت إلى رماد بارد .

حين رن جرس بابها بعد ظهر يوم السبت، قفزت أفكارها راساً إلى باتريك، وهذا تسبب في ان تحدق بغباء في وجه ماريون سترنغر !

ـ هل لي أن أدخل دايان ؟

استعادت دايان رشدها، وفتحت الباب أكثر بيد مرتجفة :

ـ أجل . . بالطبع سيدة سترنغر .

ـ هذه أول مرة تتاح لي فرصة رؤية شقتك . ويجب ان أقول انك



فرشتها بذوق ممتاز يا عزيزتي .

ـ شكراً لك .

ـ قد تتساءلين عن سبب وجودي هنا . . لا شك ؟

ـ اعتقد انها زيارة تتعلق بميتشل .

ـ أنت ذكية ومحققة دائماً . . هذا ما يقوله ميتشل .

ـ أهو مريض ؟

ـ ليس مريضاً عزيزتي . . لكنه تعيس جداً .

ـ أنا أسفة له .

ـ هل ستقابلينه لو زارك ؟

ـ ميتشل يعرف عني أكثر من أن يتصور انني سأصفق الباب في وجهه . . لكن . .

ـ ميتشل لا يعرف بعودتك إلى لندن بعد . . واعترف لك انني هنا دون علمه .

سألتها بعد تفكير :

ـ وكيف عرفت انني عدت سيدة سترنغر ؟

ـ اتصلت بي أمك طبعاً . . لماذا ؟

ـ كنت أتساءل فقط . . وكان يجب ان أعرف انها ستفعل هذا عاجلاً أم آجلاً .

نظرت إليها ماريون باستغراب :

ـ تبدين منزعجة لهذا .

ـ لست منزعجة سيدة سترنغر . . لكنني تعبت من محاولاتها المتكررة لإدارة حياتي كما تشاء .

ساد صمت متوتر، أدركت خلاله دايان، ان ماريون سترنغر، كما أمها، لن تفهما مشاعرها في هذه المسألة . . .

أخيراً سألتها المرأة :

ـ هل أخبر ميتشل انك هنا، وانك ستقابلينه ؟

ـ سأراه سيدة سترنغر . . لكن أرجوك، لا تتصوري أنني سأفكر بالعودة إلى خطبته ثانية، ومهما حاولت أن تفعلي، لا تعطيه هذا الانطباع .

حين غادرت ماريون سترنغر شقة دايان، تاركة وراءها عبق عطرها الفاخر، أدركت دايان انها أخطأت في موافقتها على رؤية ميتشل . . هل ستبلغه أمه ان لا ينتظر الكثير منها؟ وهل سيكتفي بصداقة لا ارتباطات فيها !

كانت تكره نهايات الأسبوع، فهي تجد نفسها دون شيء تفعله خلال الساعات الطويلة قبل عودتها إلى العمل صباح الاثنين . . . لو انها تستطيع تذكر عنوان تيا كواين لتخلت عن كرامتها وكتبت له عبرها . . . لكن لو كانت تعني له شيئاً لما تركها هكذا .

لم تكن دايان تتوقع ان ترى ميتشل بسرعة بعد زيارة أمه لها . . وأجفلت حين فتحت الباب ذلك المساء لتجده أمامها . . كان هناك أوقات كانت تلك الابتسامة على وجهه تدفىء قلبها بما كانت تتصور انه الحب . . صحيح ان ذلك الدفء لا يزال موجوداً . لكنها تعرف الآن انه مجرد ودّ . . ولا شيء غيره .

ـ تفضل بالدخول ميتشل .

ـ لم أصدق أذناي حين قالت أمي هذا المساء انك هنا .

ـ لم أكن أنوي البقاء في منزل والدي إلى الأبد .

ـ لكنك تركت عملك .

ـ تركت عملي لأنني لم أكن أعرف كم سأغيب . كنت بحاجة إلى الابتعاد، ولأحصل على وقت لأرتب فيه الأمور بمنظار ثابت .



ـ وهل حصل هذا ؟

ـ استطيع القول انني اكتشفت الكثير عن نفسي، أشياء لم أكن أعرفها من قبل . . لكنني لا أرغب في مناقشتها .

ـ وهل اتخذت قرار للمستقبل ؟

ـ سآخذ كل يوم بيومه وكما يجيء .

ـ وماذا عنا دايان ؟

رفعت نظرها إليه :

ـ لا تطلب مني معاودة خطبتنا ميتشل . . لأنني لا استطيع .

ـ والصداقة ؟

هزت رأسها موافقة بسرعة :

ـ سيعجبني هذا . . لكن ليس إذا كنت لا زلت تأمل ان تقود إلى شيء آخر .

رد بتصميمه المعروف بالعناد :

ـ لن أتوقف عن الأمل . . لكن لك وعدي انني لن أضغط عليك لأي شيء لا تريدينه .

حين غادر ميتشل شقتها، استحمت وذهبت إلى الفراش، لكنها لم تستطع النوم . . آوه باتريك . . باتريك . . . ماذا فعلت بي ؟ . . . وأخذت تبكي وهي تضع وجهها بين يديها، ومضى زمن طويل قبل ان تستطيع السيطرة على نفسها وتدخل الحمام ثانية . . . من الجنون البكاء هكذا . . ورشّت الماء على وجهها . لن تفكر مجدداً . . ورفعت رأسها وأقامت كتفيها . . . لن تبكي لأجل باتريك بعد . أضاءت نور المطبخ ودخلت إليه، لتحضر كوباً من الحليب الساخن أخذته معها إلى سريرها تشربه ببطء وقد صممت ان لا تفكر بباتريك .

أصيبت بالذهول مساء أحد الأيام حين عصفت لوسي سترنغر إلى

داخل الشقة وكأنها الصاعقة . . متجاوزة الشكليات الرسمية بشكل فظ :

ـ أريد الحديث معك . . فلن أسمح بإفساد حياة ميتشل مرة أخرى .

ـ ماذا ؟

ـ لقد علقته فوق خيط رفيع لثمانية عشر شهراً قبل ان توافقي على خطبته . . وسرعان ما فسخت الخطبة بعد أسبوعين . . والفضيحة لا زالت تثير اللغط بين أصدقائنا . . . ولن أسمح لك بفعل هذا مرة أخرى .

ـ لوسي . . . أنا . .

ـ لطالما حذرت ميتشل ، لكنه لم يصغ إليّ . قلت له انك لست الزوجة المناسبة له ، وتبين انني محقة . وما كدت تعودين إلى المدينة حتى جعلته يعود للجري وراءك كالأبله . . ويجب ان تدعيه وشأنه أتسمعين ؟

كانت لوسي تصيح بجنون وحقد حتى ان أذنا دايان كادتا تصابان بالصمم . . . وحين صمتت قالت لها بحدة :

ـ أيمكن أن تخرسي قليلاً وتسمحي لي بالكلام ؟

وضعت لوسي يديها على وركيها متحدية :

ـ أنا مصغية . . لكن ما ستقولينه يجب ان يكون تبريراً جيداً .

انزعاج دايان منها انقلب إلى غضب أحمر ، لكنها كبحته لتقول بهدوء مدهش :

ـ أنا ليس لدي النية ان أتزوج ميتشل . . ليس الآن . . ولا أبداً . . وهو يعرف هذا . اتفقنا على ان نكون صديقين ، ولا شيء غيره .

ـ صديقان؟ لا تكوني حمقاء . . لا زال يأمل ان يجعلك تغيرين



رأيك . ولا تقولي انك لا تعرفين هذا .

ـ بل أعرفه . . وهو يقابلني بمحض اختياره وإرادته . ولست أنوي صفق الباب في وجهه حين يزورني . . فأنا احترمه .

ضحكت لوسي بسخرية شريرة .

ـ قد تحترمتيه . . لكنك لا تهتمين أبداً كم تؤلمينه .

ـ لوسي . . . اقترح عليك ان تتكلمي مع أمك . . لقد جاءت إليّ منذ أسابيع لتمهد الطريق لزيارة ميتشل لي . وسألتني إذا كنت سأسمح له بزيارتي . . ولم اعترض . . فأنا لا أنوي التخلي عن صداقته .

ساد صمت غاضب وهما تواجها بعضهما . . ثم همست لوسي من بين أسنانها بكل حقد :

ـ أنت لا تهتمين به أبداً . . إليس كذلك ؟

بدأت دايان تحس بالضجر من هذا الحوار . . لكنها قاومت لتحافظ على أعصابها :

ـ بل أنا أهتم كثيراً لوسي . . وسأوافق معك في هذه اللحظة ان لا أراه ثانية . . لكنني أعلم انني لو فعلت فسأؤله أكثر .

ـ تظنين نفسك تعرفين الردود على كل مسألة ، أليس كذلك ؟

أخذت تلوح بذراعيها وهي تتكلم ساخرة . . هذه المرة بلغ احتمال دايان الذروة . . فقالت للفتاة بصوت بارد لم تتعرف هي عليه :

ـ أظنك بقيت هنا أكثر مما أرحب بك . . لقد جرّبت صبري آخر الحدود ، وإذا لم تغادري الآن ، فسأضطر إلى رميك إلى الخارج !

شحب وجه لوسي حتى البياض . . ثم همست مهددة :

ـ لم تشاهدي بعد نهاية الأمر بيننا !

ـ إذا عدت ثانية إلى هنا ، فسأستدعي الشرطة لتعتقلك بتهمة التهجم على منزلي ، وهذا ما سأتأكد من نشره في صحف الأحد . . وأنا

واثقة ان أهلك ستسرهم الدعاية التي ستحصل عليها ابنتهم .

شحب وجهها حتى قارب لون الأموات وتغضن وجهها بالغضب :

ـ أيتها :

قاطعتها دايان، تسير إلى الباب تفتحه لها :

ـ إذهبي من هنا لوسي . . اذهبي إلى بيتك واكبري . . . .

للحظات ظنت دايان ان لوسي تتحضر لتهجم جسدي عليها . . كانت تشد قبضاتها وترخيها بتواتر ظاهر، لكنها خرجت من شقة دايان بنفس العاصفة التي دخلت بها .

أحست من الضروري مناقشة أمر زيارة لوسي مع ميتشل حين التقته بعد أيام وقال لها واعداً :

ـ سيكون لي كلمة معها . . انها مدينة لك باعتذار . . وسأهتم بان لا تسبب لك الازعاج ثانية .

ـ أرجوك ميتشل لا تبالغ في خلق مشكلة مما حدث، فأنا اعتقد انها تفكر بصالحك . . ربما لو تحدثت معها . . فقد نتجنب تكرار ما حدث .

توقعت ان تنتهي المسألة هنا، لكنها بعد أيام تلقت رسالة اعتذار من لوسي، وكما توقعت، كتبتها تحت الضغط، لكنها تقبلتها كما هي، وقررت نسيان الأمر .

مرت ثلاثة أشهر على عودتها إلى لندن، خلال هذا الوقت جاء عيد الميلاد ورحل، وحل الشهر الثاني من السنة الجديدة . . كانت سعيدة في عملها، مع انها لم تحصل بعد على عمل دائم، لكنها كانت تساعد في كل أقسام الشركة بسرور تكسب المعلومات والخبرة . . . وكان رؤسائها أكثر من لطفاء معها، ولم تبخل بدورها بأي خدمة يطلبونها منها .

الدعوات غير المتكررة التي كانت تلبيها للعشاء مع ميتشل كانت بالنسبة لها تغيير مرحب به من روتين الجلوس في الشقة لوحدها حتى



موعد النوم . . وسألها في إحدى هذه المناسبات وعيناه مركزتان على وجهها :

ـ ماذا حدث لك دايان؟ أنت لست سعيدة، وأعرف هذا منذ زمن طويل . . ربما تودين مشاركتي بهمومك !

تصلبت لسؤاله مع علمها ان دافعه الاهتمام .

ـ أقدّر لك اهتمامك ميتشل، لكنني لا استطيع مشاركتك همومي .

ـ دايان . . تعرفين أنني أحبك .

ـ أجل أعرف .

ـ اصغي إليّ . . . أنا أطلب منك مرة أخرى ان تتزوجيني . . ولن أتوقع منك رداً فورياً . . كل ما أطلبه ان تفكري بالأمر وسيرضيني أي قرار تتخذينه .

ـ لكنني لا أحبك ميتشل .

ـ أنا متقبل لهذا الواقع . . وأطلب منك التفكير بالأمر بروية . وسنكون سعيدان معاً أعرف هذا . .

انه يحبها . . لا شك لديها في هذا . . وبدون أي أمل في ان يهتم بها باتريك، لربما من الأفضل لها التفكير بالسعي إلى أي سعادة، تستطيع الحصول عليها مع شخص آخر . وميتشل لن يبقى ينتظر إلى الأبد، يوماً ما سيسعى لسعادته مع فتاة أخرى وحين يحدث هذا ستصبح وحيدة تماماً .

تلك الليلة في شقتها، أخذت تتساءل ما إذا كانت منصفة مع ميتشل . أمن الانصاف تركه يأمل . . . أمن الانصاف الزواج منه دون ان تحبه؟ لكنه مستعد للزواج منها وتحت هذه الظروف . . فلماذا القلق ؟

أمضت بضع ليال تاليه بنفس حالة التوتر والتفكير، أفكارها قلقة دون توصل لقرار . . لكن حين زارها ميتشل صباح الأحد، كانت على

وشك القرار بالقبول، بالرغم من صوت داخلي يصيح بها باحتجاج . . وصول ميتشل لزيارتها كان الهاء مرحباً به عن حالتها الصعبة، وتنهدت بارتياح وهي تضع الابريق على النار لتحضير القهوة .

حين عادت إلى غرفة الجلوس بعد دقائق وجدت ميتشل يتمدد بارتياح على الصوفا والجريدة بين يديه، شرب قهوته، وقضم قطعة بسكويت، ثم أخذا يبحثان مطولاً توقعات سباق الخيل . . على الأقل لديهما حب مشترك للخيل . . . الفارق بينهما هو ان ميتشل يحب المراهنة على الخيول، بينما هي تتمتع فقط بركوبها .

فجأة هز الصحيفة في يده :

- إسمعي هذا . . باتريك أولينشو، مقتحم جديد لعالم الفن، سيقيم معرضاً للوحاته في فندق دورشستر في مدينة شفيلد وفي مقابلة سريعة صنّف النقاد عمله . . .

- دعني أرى المقال .

بقلب خافق بشدة، قرأت بقية المقال كمن أعطى لمحة للطعام بعد ان كاد يموت جوعاً . . كانت يداها ترتجفان، وقرأت المقال عدة مرات إلى ان انطبعت كلماته في رأسها، فوقفت مضطربة، ورمت الجريدة إلى ميتشل . . . وقالت له تحدق دون ان ترى عبر النافذة :

- ليلة الافتتاح يوم الجمعة القادم .

- هل تفكرين بالذهاب ؟

- أنا . . لست أدري .

- دايان . . انه باتريك أولينشو . . . . وهو سبب كل تعاستك . كان يجب ان أعرف منذ البداية .

- أؤكد لك ان الأمر من جانب واحد . من جانبي أنا .

- مسكينة دايان . . . أصبحنا أثنان في نفس المشكل . . . أليس



كذلك ؟

ابتسمت :

- بدا لي اننا مناسبان لبعضنا . .

خرج بهدوء بعد دقائق . . . لتبقى لوحدها مع أفكارها المضطربة، وذلك الاحساس المتجدد بالألم والشوق الذي كان يحفر في نفسها دون رحمة، وجلست لوقت طويل، لا تعرف مداه، لكن دموعها كانت قد جفت، وأطرافها أصبحت ثقيلة، مع تعب أحست به يتصاعد من الداخل . . كان عليها ان تفكر . . لكن عقلها رفض ان يعمل . . فقد تركز على شيء واحد فقط، وكأنه الاسطوانة العالقة، تكرر نفس الكلمة بإلحاح مزعج مؤلم . . باتريك . . باتريك باتريك .

خرج اسمه من شفتيها وكأنه الصلاة، أو الرجاء أو استدرار الرحمة، لكن لا مكان للرحمة في رأسها . . كان تفكيرها ينكأ الجرح الذي طالت مدة شفاءه . . وعاد الألم مجدداً . . يؤلم قلبها وروحها حتى آمنت انها ستجن .

## ٩٠

# لا يا قلب !

أوصل ميتشل دايان بسيارته إلى محطة القطارات بعد ظهر الجمعة . . لقد تطلب منها الكثير من التأمل النفسي لتصل إلى القرار لحضور افتتاح معرض باتريك . . كان هناك الكثير ضد هذا القرار، لكن في النهاية كان قلبها الذي أملى عليها ما تفعل .

لا شيء ولا أحد كان يجبرها ان تحضر المعرض . . وأمامها الكثير من الوقت لتغير رأيها . . وحاولت ان لا تفكر بما ينتظرها لقد وضعت خطتها، وستلتزم بالخطة مهما حدث .

حين وصل القطار محطة شفيلد، وجدت دايان نفسها تفعل كل شيء بشكل آلي . . أوصلها التاكسي من المحطة إلى المدينة رأساً إلى فندق بلازا . . غرفتها كانت في الطابق الثالث نوافذها تطل على المدينة الصاخبة .

دليل الهاتف كان على الطاولة قرب الهاتف، فالتقطته، لتتصفحه إلى ان وجدت ما تبحث عنه . . هناك الكثيرون يحملون اسم أولينشو في



المدينة، عدد لا يستهان به يحمل اسماً يبدأ بحرف الباء، لكنها لا تعرف أي منها يعني باتريك . . ولا تعرف أصلاً ما إذا كان لديه هاتف حيث يسكن .

رمت الدليل إلى الطاولة، ودخلت الحمام، أمامها أقل من ساعتين لتحضر نفسها، وهي بحاجة إلى حمام ساخن تغطس في مياهه جسدها علّ عضلاتها المتوترة تسترخي، إذا لم تحصل على استرخاء في تفكيرها . . ليلة افتتاح المعرض، تكون دائماً مناسبة أنيقة، ولقد قررت ان ترتدي ثوب سهرة أزرق مع ما يناسبه من زينة .

حين نظرت فيما بعد إلى صورتها في المرآة منتقدة، أحست بالرضى، وآملت ان تكفيها زينتها هذه عبر هذه الأمسية الصعبة . ولم يكن فندق بلازا يبعد كثيراً عن فندق دورشستر حيث يقام المعرض، وسارت دايان المسافة بينهما في بضع دقائق . لكنها كانت ككتلة معقدة من الأعصاب المتوترة حين خطت إلى داخل البهو الواسع للفندق حيث يقام حفل كوكتيل مقدمة لحفلة الافتتاح . وأخذت عيناها تجوبان البهو من رجل إلى آخر دون رؤية وجه مألوف . . لكان وجهان في النهاية سجلا الذهول على وجهها :

- أبي . . أمي ! لم أتوقع رؤيتكما .

أعلنت ريبيكا :

- ولم نتوقع نحن أن نراك .

- حين قرأت المقال عن المعرض . . قررت ان أجيء . وصلت بالقطار بعد الظهر، وأقيم في البلازا .

- ظننا من الأفضل ان لا نعلمك . . لكننا تلقينا دعوة من باتريك . آمل ان نشتري رسومات للمزرعة، إذا كان قد رسم شيئاً منها، وربما غيرها .

كان والدها ينظر إليها بقلق وهو يتكلم ثم تابع :

ـ لقد خسرت الكثير من وزنك يا ابنتي .

ـ كنت أعمل بجهد . . اتقيهان في الفندق هنا ؟

ـ حجز لنا باتريك جناحاً . وإلا ما وجدنا مكاناً .

كان والدها قد بدأ يقول شيئاً عن اشتياق ويندل لها، لكنها بالكاد سمعته وهي تجيل نظراتها إلى كل قادم جديد، ثم قالت :

ـ لست أرى باتريك هنا .

ردت ريبيكا :

ـ لم يصل بعد . . كنت أظن ميتشل له العقل الكافي ليجيء معك .

ـ لا يا أمي . . قررت المجيء لوحدي .

لم تستطع دايان فيما بعد وصف ما أحست به بالضبط حين تركزت عيناها الجائعتين على جسد باتريك الطويل العريض الكتفين . . بدا لها مألوفاً بشكل يؤلمها، لكن فيه شيء ما تجده رهيباً وغريباً، ولم يكن لوحده، بل كانت تيا كواين إلى جانبه ذراعها متعلقة بذراعه بطريقة متملكة، ابتسامتها مشعّة في وجه عدسات التصوير التي كانت تلمع باستمرار . . ونظر باتريك إلى مرافقته الفاتنة، وابتسما لبعضهما . . .

سمعت أمها تقول هامسة لزوجها :

ـ هذه تيّا كواين . . انها المرأة التي جاءت لزيارته في المزرعة .

كان باتريك يتلقى الكثير من الاهتمام، والجميع يتحلق حوله ليحدثه . . أهذا هو ذلك الباحث العالم الفنان المتشرد الذي جاء حفلة خطوبتها ببنطلون وسترة من الجينز ؟

استدار باتريك فجأة، فأحست وكأن قلبها توقف عن الخفقان حين التقت عيناه الرماديتان الخضراوان بعينيها . . لكن ضربات قلبها عادت إلى الانطلاق مجدداً بسرعة عاصفة لا تصدق، جعلتها تحس بالدوار



وهي تحدق بالعينين الأسرتين . . . أخذت دايان تحس بالحرارة ثم البرودة بشكل متواتر، وارتجفت يداها حتى انها اضطرت إلى وضع كوب الشراب من يدها كي لا يقع . . شاهدته يقول شيئاً للرجل الواقف قربه، ثم يبدأ بالسير عبر البهو إلى حيث تقف متوترة مع أبويها .

ابتسم لوالدها :

ـ سيد ويلمر أنا سعيد لقدومكم .

لكن ابتسامته تلاشت، وبردت نظرته حين هز رأسه باقتضاب لأمها .

ـ مساء الخير سيدة ويلمر .

أحست دايان بجفاف فمها حين استدار إليها، مدت يدها بهدوء خادع :

ـ مساء الخير باتريك .

ظنته للحظات مرعبة سيتجاهل يدها، ثم غلّفت يده الضخمة يدها الرقيقة، لترسل لمسته رعدة مكهربة من أطراف أصابع يدها على طول ذراعها لترسل الارتجاف إلى كل أنحاء جهازها العصبي .

ـ كنت آمل ان تأتي دايان . . لدي شيء أريك إياه .

أمسك بيدها ليضع ذراعه في ذراعها، ويطلب العذر من والديها . ليقودها إلى قاعة كبيرة ليصبحا لوحدهما بين ما يقارب الخمسين إلى ستين لوحة معلقة على كل الجدران : أكان يشرفها بعرض انتاجه عليها قبل ان يراه أحد، أم انه أراد ان يخلو بها لسبب مجهول و .

عمله كان بارزاً ورائعاً، لكنها كان يمكن أن تجده ممتعاً أكثر لولا احساسها بتفرسه المصرّ الصامت لها .

ثم سألها :

ـ ما رأيك ؟

- أظنها كلها رائعة . . واضح لماذا يتحدث النقاد عنها .

- تعالي من هنا .

أخذها إلى نهاية الغرفة حيث لوحة معلقة على الجدار مغطاة بقطعة قماش، فنظرت إليه بفضول، وقال لها :

- وعدتك ان لا يرى لوحتك أحد قبلك . ألم أفعل ؟

كاد قلبها يتوقف وهي تنظر إليه .

- وهل تتذكر ؟

- نادراً ما أنسى وعداً .

- ماذا كنت ستفعل لو لم أحضر الليلة ؟

- ما كنت سأعرضها . . تراجعي قليلاً . .

فعلت ما قاله لها، وبحركة سريعة أزال القماش عن لوحة نصفية بالحجم الطبيعي لها . . حدقت دايان بها، وأحست بأنفاسها عالقة في حنجرتها، اهدت أمامها الوجه الذي تقابله كل يوم في المرآة، لكن هناك فارق واضح فيه لم تستطع شرحه لنفسها .

- حسناً ؟

تمتمت مأخوذة :

- إنها . . . . انها . . جميلة .

- قلت لك انك جميلة . . ألم أفعل ؟

- هل انا . . أبدو . . حقاً هكذا ؟

- رسمتك كما شاهدتك .

طريقة كلامه جعلتها ترتجف، واشتدت أصابعها فوق حقيبة يدها الصغيرة . . وسألته بجهد :

- أهي للبيع ؟

- انها، وحتى إشعار آخر، ملك لي لوحدي . . هل ميتشل معك



هنا ؟

- جئت لوحدي .

- ومتى ستتزوجينه ؟

- لن أتزوجه . . مع انه طلبني مرة ثانية . . لكن . . .

- ألم أقل لك يوماً انك لا تعرفين ما تريدين ؟

- لماذا تركت المزرعة دون سابق إنذار؟ حتى دون كلمة وداع ؟

- قالت لي أمك أن أباك أخذك إلى لندن لتسوية الخلاف بينك وبين ميتشل . . وقالت انك قررت الزواج منه، وانها ستعتبر فضلاً مني لو رحلت قبل عودتك بعد ظهر ذلك اليوم .

كلماته شتتت أية نظرية أخرى كانت في رأسها حول الأمر . وما أن رسخت الحقيقة التي سمعتها في مكانها الصحيح حتى أصبحت بيضاء بلون القميص الحريري الذي يرتديه . . . وهمست بحشرجة :

- آوه . . يا إلهي !

تابع باتريك يؤنبها :

- ملعون لو انني فهمت لماذا لم تقولي لي هذا بنفسك . . ظننت اننا وصلنا مرحلة ان نكون صادقين معاً تماماً . . لكن هذا أظهر لي كم ان مشاعر المرء يمكن ان تكون خاطئة .

أحست دايان برغبة في البكاء وهي تنظر إلى وجهه المتحجر، فابتلعت ريقها بالتتابع . . وحاولت ان تشرح :

- باتريك . . أنا لم . . .

أصمتها فجأة :

- فتحت الأبواب . . ستتحدث فيما بعد .

وابتعد عنها ليتحدث مع رجل متوسط في العمر ملتحي، واضح ان له أهميته .

لمحت دايان مكان أبويها فشقت طريقها بين الجمع إليهما . بدت لها أمها متوترة وشاحبة، وفهمت على الفور لماذا . . ولقد تصرفت بخسّة، وستقول لها ذلك حين تسنح لها الفرصة .

ساد الصمت بين الجميع حين اتجه الرجل الملتحي إلى الناحية البعيدة من الغرفة، وقال جاكوب :

ـ انه البروفسور توميسون . . انه أستاذه في جامعة ريڤرت كما اعتقد .

بدأ البروفسور كلامه :

ـ سيداتي سادتي يسرني جداً هذا المساء أن أقدم لكم عمل تلميذ سابق لي، لكن في مجال مختلف تماماً، هو باتريك أولينشو درموند . . لقد أبعد نفسه كرئيس مجلس إدارة مؤسسة درموند للأدوية الزراعية المؤسسة التي تعرفون جميعاً ان لها سلسلة من الفروع في كل البلاد، لينصرف إلى الفن . . لكن بعدما شاهدته هنا اليوم، كنت أتمنى لو انه أمضى ردحاً أكبر من وقته وراء رسوماته، بدلاً من مكتبه .

لم تعدّ دايان تعي شيئاً بعد الصدمة الأولى لسماعها حقيقة باتريك . . «درموند» كانت أكبر مؤسسة لانتاج الأدوية الزراعية الفريدة من نوعها في كل البلاد . . واكتشاف ان باتريك هو رئيس هذه المؤسسة كان ضربة تركتها مذهولة تفكر كم انها كانت مخدوعة .

همست ريبيكا باهتياج، تضغط منديلها إلى أنفها وتتكىء متثاقلة على ذراع زوجها، وكأنها على وشك الإغماء .

ـ دايان . . . لو انني كنت أعلم !

استدارت دايان إليها يغمرها إحساس مختلط من خيبة الأمل والغضب، لتقول بصوت مليء بالسخرية :

ـ أنا واثقة ان للأمر فارق كبير الآن وقد عرفت حقيقته . لكن،



شكراً لتدخلك، أنا سعيدة لأقول لك ان الوقت متأخر جداً .

سأل والدها :

ـ عما تتحدثان كليكما ؟

همست دايان بغضب من بين أسنانها :

ـ أسأل زوجتك! دعها تقول لك سبب ترك باتريك للمزرعة بسرعة .

قطب جاكوب في وجه الأم متسائلاً :

ـ ريبيكا ؟

بينما كانت دايان تبتعد عنهما سمعت أمها تقول مرتجفة :

ـ أنا . . أنا فعلت هذا لأجل دايان . لم أكن . . أعرف . .

لم تنتظر دايان لتسمع ما تبقى، فقد كانت مشغولة في شق طريقها نحو المخرج . وغضب عميق يدفعها إلى الأمام لتخرج من المبنى، ثم إلى الشارع المزدحم باتجاه البلازا . . تمتمت مخاطبة صورة وهمية أمام عينيها :

ـ حسناً سيد باتريك أولينشو درموند . . بإمكانك الذهاب إلى الجحيم . . فلست أهتمّ .

طلبت من الفتاة المسؤولة عن الاستعلامات الاتصال بمحطة القطارات لترى إذا كان هناك قطار عائد إلى لندن في الصباح الباكر، لم تكن تريد البقاء في شفيلد لحظة أكثر من اللازم .

رن جرس الهاتف في غرفتها، وأجابت :

ـ سينطلق القطار إلى لندن في الساعة الثامنة صباحاً . . ولقد حجزت لك مقعداً في الدرجة الأولى، أرجو أن يوافقك هذا .

ـ عظيم . . وشكراً للإزعاج .

أجفلت بعد دقائق لقرع على باب غرفتها، فتوقفت عن طوي

فستانها لتضعه في الحقيبة :

- من الطارق :

- باتريك .

الصوت الجهوري العميق أصابها بالصدمة التي جاءت على شكل موجات متتالية أقشعر لها عظم ظهرها . . وأكمل :

- افتحي الباب . . أريد محادثتك .

فتحت له الباب مرتجفة، لكنها سألت ببرود :

- ماذا تفعل هنا؟ لماذا لست في المعرض ؟

رد بسؤال حاد :

- لماذا هربت ؟

- لم أهرب . . لقد خرجت بكل هدوء .

- لا تتذاكي عليّ دايان !

رفضت ان يهوّل عليها بتهديده، فقالت ساخرة :

- أنا آسفة جداً . . جداً . . أرجوك قل لي : كيف من المفترض ان أتصرف في حضور المحترم رئيس مجلس إدارة مؤسسة درموند ؟

اشتعل الجو بتوتر مكهرب بينهما . . خلال الصمت فكرت انها تمادت معه في كلامها . . لكن صوته كان هادئاً حين رد :

- لم أسعَ يوماً للمركز الذي أنا فيه . . فقد اكتسبته منذ يوم أخذني عمي وشقيقتي إلى بيته . . عمي كان رجلاً قاسياً معنا، لكنه دائماً سيحصل على اعترافي بجميله لأنه صنع مني ما أنا عليه اليوم .

- لكن تفسيرك هذا جاء متأخراً جداً .

- معك كل الحق في الانزعاج . . لكنني أقسم لك انه كان في نيتي ان أقول لك الحقيقة .

كان في الابتسامة التي أطلقتها دايان سخرية مريرة :



- وهل تتوقع مني ان أصدقك ؟

- دايان . . أريد ان أوضح لك . . .

- كم كنت مرحاً متسلياً، تضحك في أكمامك علينا كلنا لظننا انك متشرد مسكين . . . بينما أنت طوال الوقت ثري بما يكفي لتشتري ريدج واي مع عدة مزارع في المنطقة . دون ان يهتز رصيدك في المصارف .

ضحكت بقساوة، ثم أضافت :

- ولقد نجحت بكل تأكيد في خداعنا . . لكنني على عكسك . . لا أحس بالتسلية !

استدارت نحو السرير ودفعت الفستان الذي كانت تطويه في الحقيبة . . فسألها ببرود :

- ماذا تفعلين ؟

- أوضب حقيبتي . فأنا عائدة إلى لندن في الصباح .

صاح بها راعداً :

- لن تذهبي إلى أي مكان !

أمسك بحقيبتها بلمح البرق ليفرغها على الأرض حتى ان ملابسها تكومت فوق بعضها دون ترتيب . .

فصاحت به بصوت حاد :

- كيف تجرؤ !

- بل أجرؤ . . . ! لأنك وأنا لدينا الكثير من الأشياء المعلقة التي لم تنته بعد، قبل ان أسمح لك بالعودة . . هذا إذا سمحت لك .

قربه منها هاجم أعصابها حتى مالت على الخدر، لكن غضبها كان أكبر من ان تسمح لنفسها ان تجرفها العاطفة وقالت ببرود :

- سأرحل متى يحلو لي . بالنسبة لي، ليس بيننا ما نناقشه .

- آوه . . بلى هناك الكثير . . ماذا يعني ميتشل لك ؟

- في هذه اللحظات يعني لي الكثير أكثر منك .

- وهل ستتزوجينه ؟

- هذا أمر لا يعنيك !

- اللعنة عليك دايان ! اخبريني الحقيقة ، أم عليّ ان أجبرك على هذا بالقوة ؟

مد يداه إلى كتفيها ليشد عليهما بقوة ، لمسته كانت عذاباً حلواً تعلم انها لن تجرؤ على الاستسلام له ، ووجدت نفسها تحدق في وجهه المتجهم وهو يسألها ثانية ؟

- هل ستتزوجي ميتشل ؟

- قد أتزوجه .

- أتحبينه ؟

- هذا أمر شخصي بيني وبينه . . وارفض بحثه معك .

- ربما ستجيبي على هذا السؤال : هل تحبيني أنا ؟

- لا !

رمت بالكلمة بشراسة ، لكن كل شيء في كيانها كان يصرح بالعكس . . وأكملت :

- أنا لا أعرفك . أنت غريب عني . . ولا يعجبني ما أراه منك .

قطب بحدة ينظر إلى السيكارة بين أصابعه :

- لا زلت نفس الشخص تحت كل هذه الملابس الأنيقة .

- صحيح ؟

- الملابس لا تصنع الرجل . . أنا لا زلت نفس الرجل كما كنت دائماً . وأنا أتمتع بثرائي لسبب بسيط هو انها تعطيني الحرية للسفر حين أشاء ، ولأفعل ما يحلو لي . . . خاصة الرسم . ولست خجلاً مما لدي ، ولا أنظر باستخفاف إلى من ليس لديه . . وهذا أكثر شيء أعجبني



فيك . . فانت لم تهتمي بمن أنا أو ما أنا ، وكنت بالنسبة لي تغييراً مرحب به عن النساء اللواتي يردنني لثرائي ومركزي . فهل تلوميني لو أحببت التمتع بذلك الدور إلى أقصى مدى ممكن . . ؟

- هذا أمر مؤثر . . لكن الوقت فات . . كنت صريحة معك وتوقعت الصدق في المقابل . . لكن كل ما حصلت عليه منك هو الأكاذيب والخداع .

لمعت عيناه باستغراب :

- قلت ان الوقت فات . . فلماذا تعنين ؟

استدارت عنه :

- فات الوقت لانقاذ أي شيء بيننا . . فلم أعد أهتم بك . . وأتمنى أن لا نضطر لرؤية بعضنا بغد هذا . . أرجوك اذهب . . ودعني وشأني .

دون وجود باتريك في الغرفة ، بدت لها كئيبة فارغة . . . والتقطت ثيابها عن الأرض لتعيدها إلى الحقيبة . . ستعود إلى لندن في الصباح ، مصممة على الزواج من ميتشل . . فهو على الأقل كان صادقاً على الدوام معها ، تعرف ما هو ، ومن هو ، وتعرف انها قادرة على الثقة به ، وهذا أهم من أي شيء آخر . ميتشل يحبها ، وهو ينتظرها متشوقاً لترد على طلبه . . وسيتلقى الرد الذي يأمله . . اسكتت صوت قلبها بخشونة ، فقد أصغت إليه كثيراً ، وقادها إلى الإذلال ، والألم ، واليأس . ولن تسمح له ان يجعلها تمر ثانية في هذا كله . لا من أجل أحد ، ولا حتى باتريك .

## ١٠

# الحلو.... والمرّ

كان الوقت متأخراً في المساء حين خرجت دايان من الحمام تربط حزام روب الحمام حول خصرها بعد أن سمعت دقاً على الباب . . ورد صوت أبيها على سؤالها المستغرب . ففتحت الباب لتستقبل أبوبها .

قال الأب بثبات ينظر بعناد إلى الأم :

ـ لدينا شيء نقوله لك دايان . . أليس كذلك ريبيكا ؟

ـ أجل جاكوب .

صوتها كان مذعناً بشكل لم تعهده دايان بأمها من قبل . . .

ـ اعترف انني استغليت فرصة غيابك مع أبيك في زيارة للمراعي، لأذهب إلى السيد أولينشو وأطلب منه الرحيل قبل عودتكما . . وفعلت هذا لأنني كنت قلقة عليك . ولأنني كنت أظنك واقعة تحت تأثير رجل لا شيء لديه يقدمه لك . . وكنت واثقة انك تحين ميتشل، وكنت فقط أفعل ما كنت اعتبره صالح لك . . لكنني أدركت الآن كم كنت مخطئة . . وأدين لك باعتذار .

ردت بصوت بارد متحفظ :



ـ لست مدينة لي بشيء أمي . . أردتني الزواج بميتشل وهذا بالضبط ما سأفعله .

بدا الرعب على ريبيكا :

ـ آوه . . لا ! لا يمكنك هذا !

ـ بلى . . يمكنني . . وسأفعل .

ـ لكن ماذا عن السيد درموند ؟

ـ وماذا عنه ؟

هزت ريبيكا رأسها بعجز وحيرة :

ـ لكن . . . لست أفهم .

تدخل الأب :

ـ دايان . . . أنت تحبين باتريك . . أليس كذلك ؟

ـ أحببت الرجل الذي جاء إلى حفلة خطوبتي بالبذلة الجينز لأنه لا يملك بذلة سهرة . لم يكن لديه شيء . . . ولم يدعي يوماً ان لديه شيء سوى تلك السيارة العتيقة والمقطورة . . ومثلي، كان يكره من يعتبر الثراء والمركز أهم شيء في الحياة . . لكنني اكتشفت هذا المساء انه كان يخدعني طوال الوقت . . أنا لا أعرف هذا الرجل الذي قابلته الليلة . . وما كنت قادرة على ان اكتشف حقيقته بطريقة أكثر قسوة .

أنّبها والدها :

ـ ألست متسرعة قليلاً في حكمك يا أبنتي ؟

ـ لم أكن أكثر منه تسرعاً في إخفاء الحقيقة عني . . ألا ترى ؟ إذا لم يستطع ان يثق بي في قول الحقيقة عن نفسه . . فكيف أصدق أي شيء عنه، وخاصة بالنسبة لي ؟

ـ أفهمك . . لكنك غاضبة الآن . . وربما متشوشة قليلاً . لكن حين تهدئين، وتفكري قليلاً . . قد ترين الأمور مختلفة . لكن قد يكون فات

الأوان .

ـ لكنه فات يا أبي .

ـ ماذا تعني ؟

ـ لقد قررت أن أتزوج ميتشل، ولا شيء سيغير هذا القرار . .

دقة عنيفة على الباب قاطعت الصمت الذي ساد في الغرفة شيء يقارب الخوف أطبق على خناقها، وبإشارة صامته منها فتح والدها الباب . ليخطو باتريك إلى الداخل . . لكن كغريب مدموغ بعلائم الثراء في كل لمحة منه . وقال بعد نظرة سريعة لأبويها :

ـ أريد التحدث إلى دايان على إنفراد لو سمحتما .

صاحت به بحدة مشيرة إلى والديها بالبقاء :

ـ لكنني لا أسمح . لم يعد بيننا ما يقال .

تجاهلها باتريك والتفت إلى جاكوب وريبيكا :

ـ هل لكما بتركنا لوحدنا . . أرجوكما ؟

صاحت مجدداً :

ـ ليس من حقك الدخول إلى هنا وإعطاء أمر لوالدي ليغادرا غرفتي دون إذن مني .

رد بخشونة آمرة متوحشة :

ـ إصمتي !

لهجته جعلتها تشحب وجعلت جاكوب يمسك بيد ريبيكا ليغادرا الغرفة .

ـ هناك بضعة أمور علينا ان نناقشها . ولم تكوني في مزاج يسمح لك بالتفكير حين كنت هنا في وقت أبكر . . أنت ترتجفين . . واقترح عليك الجلوس كي لا تقعي أرضاً .

صاحت به :



ـ لن أقع . . إذهب إلى الجحيم . . . . ؟

ودفعها لتجلس على حافة السرير . . صاحت، ولو بخوف :

ـ كيف تجرؤ على الدخول إلى هنا ومعاملتي هكذا . . لست أحد تابعيك في مؤسستك !

ـ اصمتي ! هناك أشياء معينة يجب ان تعرفيها . . ولا أريد تضييع وقت لا لزوم له . . . لقد الغيت حجزك على القطار !

ـ أنت كريه لا تحتمل ! ليس من حقك أن . . .

ـ بل لي كل الحق .

وقبل ان تدري شيئاً كان قد جذبها واقفة ليأسرها بين ذراعيه . . . فصاحت مذعورة تضرب بيديها المشدودتين على صدره :

ـ اتركني . . أيها الشرير .

لكنه لم يتأثر . بل قال :

ـ هناك طريقة واحدة لإعادة عقلك لك .

قوة ذراعيه سحقتها، وكادت تزهق أنفاسها، وعانقها بشدة يطلب الخضوع . حاولت يائسة ان لا تستجيب، أن تبقى متصلبة سلبية بين يديه . لكن قلبها كان يضرب بسرعة كادت تخنقها . . وأخذت النشوة تطيح بتعقلها كالبركان، لتتركها عاجزة . ومرّ وقت طويل قبل ان يتركها وحين فعل كانت ترتجف حتى انها جلست خوفاً من ان تنهار ساقاها تحتها .

ـ هل أنت مستعدة الآن للحديث بتعقل .

ـ ما كان يجب ان نفعل هذا .

ـ لأجل الله دايان . . ألا تدركين كم من المهم ان نتحدث ؟

أخفضت رأسها إلى الأسفل وقالت :

ـ إذاً . . . إذا كنت تريد الحديث . . . فاجلس هناك قبل ان أصاب

بتشنج في عنقي .

خلع سترته وربطة عنقه، وفتح ياقة قميصه، لترى بوضوح صدره الذي اعتادت ان تراه من قميص الجينز المفتوح :

ـ نحن مدينان لبعضنا بتفسير . . فهل أبدأ أنا أم أنت ؟

ابتلعت ريقها قلقة :

ـ تجعل هذا يبدو وكأنه أمر واقع .

تنهد :

ـ دايان . . كلانا لديه تفسير كثير، وإذا لم اتصرف هكذا فأنا واثق انني سأنصرف على مغازلتك بدلاً من انتزاع بعض الفهم من كل هذا الوضع المتشابك .

وأدركت انها لن تستطيع إخفاء الحقيقة عنه . . فقالت :

ـ هناك شيء يجب ان أقوله لك .

تنهد ثانية :

ـ عظيم . . توصلنا إلى شيء ما . ماذا تودين ان تقولي لي ؟

ـ أمي كذبت عليك . فأنا لم أذهب إلى لندن مع أبي لرؤية ميتشل . . بل كنت معه في عمل في المراعي يتعلق بتغطيس الماشية في الأدوية لتعقيمها .

ـ كنت أين ؟

ـ في المراعي مع أبي . . . ولم أذهب إلى لندن إلا بعد أن رحلت .

ـ كي تتابعي علاقتك مع ميتشل من حيث تركتيه ؟

ـ بل لأحاول إصلاح ما أفسدته لي من حياتي .

ـ حين قالت أمك انك قررت العودة لميتشل، لم يكن هناك ما يدفعني ان لا أصدقها .

ـ بل كان هناك أسباب كثيرة كي لا تصدقها! أنا . . آوه . . دفنت



رأسها في يديها وأكملت بصوت مخنوق :

ـ فعلت لك كل شيء ما عدا أن أقدم لك نفسي على طبق . . وحين وصلت ذلك المساء لأعرف انك رحلت دون وداع . . أحسست برغبة في الموت .

ـ دايان؟ أيعني هذا انك تحبيني ؟

ـ أقول لك ما أحسست به يومها .

ـ إلى الجحيم بما أحسست به يومها . . . المهم الآن هو ما تحسي به الآن . وهو مهم لانني . . . أحبك !

حدقت به دايان، الفرح وعدم التصديق يتصارعان، لكنها لم تجرؤ على التخلي عن حذرها، وان تترك نفسها مكشوفة لمزيد من الألم . .

وهمست ببؤس :

ـ السماء تعلم كم أحب أن أصدقك . . لكنك لم تعطني أي سبب لأصدق .

كاد قلبها يقفز من حنجرتها حين وقف ليقطع الفاصل بينهما ويجلس إلى جانبها على السرير . ويضع يده تحت ذقنها .

ـ أحببتك منذ أول مرة رأيتك . . لكنني لم استطع المخاطرة بالقول لك إلى أن أثق بك أكثر .

ـ صحح لي كلامي إذا كنت مخطئة، لقد قلت لك في مناسبتين مختلفتين ما هو شعوري نحوك .

ـ وكيف لي ان أثق بمن كانت تسبح في الغيوم لخطبتها، ثم تفسخها بعد قليل؟ ثم انني كنت أصمم على ان لا أقول لك شيئاً إلا بعد أن اقتنع بصدقك .

أخذت تشرح له بهدوء :

ـ لم أحب ميتشل يوماً . . كنت أتصور انني أحس بالحب، لكنني لم

أكن أعرف ما هو الحب . . إلا بعد ان التقيتك . . ثم ماذا عن تيا كواين . . ؟ قلت لي انك تهتم بها .

ـ أجل . . . لكن قلت هذا من ضمن كلام كثير، ألا تذكرين؟ انها سكرتيرتي، أدفع لها الأجر، وبهذا يمكن لي القول انني أهتم بها .

ـ لكنها لم تكتفِ تماماً .

لكنها وصلت معك إلى حفل الافتتاح تتأبط ذراعك بطريقة تملك .

ـ حين تفكرين بانها نظمت كل شيء، فمن الانصاف ان أرافقها إلى المعرض . وأظن ان معظم السكرتيرات تشعرن بنوع من التملك بالنسبة لرؤسائهن . فلا تكوني سخيفة !

ـ كم كنت أود لو قلت لي هذا من قبل .

شدها بخشونة، فدفنت وجهها في صدره . . تحس بالحب للرائحة المألوفة لعطره الرجولي، وأخذت تملأ قميصه الأبيض بالدموع . . وتنهد :

ـ يا الله . . كان بإمكاني قتلك ذلك الصباح لو وقعت يداي عليك .

ـ باتريك . . . آوه باتريك! حاولت يائسة ان أنساك . . لكن الأشهر الثلاثة الأخيرة كانت كالجحيم لي !

تأوه . . . .

ـ لا حاجة لتقولي لي . . فقد أمضيت أياماً وليالي اتصورك متزوجة من ميتشل . . حتى كدت أفقد عقلي .

أحست فجأة بعامل خطير في الموقف . . وبيديها على صدره أبعدت نفسها عنه وقالت مترددة :

ـ هناك أمر آخر . . ميتشل أعاد طلبي للزواج، وقلت له انني سأعطيه الرد بعد أن أعود .

ـ لن تتزوجيه وحق الجحيم! ستتزوجيني أنا . . ولا أحد



غيري . . . .

كادت تفقد وعيها من السعادة . . وابتسمت تمرر أصابعها على فكه المتصلب :

ـ هل تطلب مني . . أم تأمرني ؟

ـ بل أطلب منك .

وأمسك بيدها ليطبع قبلة على راحتها برقة وحنان جعلتها تود البكاء فرحاً . . . وأكمل :

ـ هل تتزوجيني ؟

همست بسرعة ولهفة :

ـ أجل . . آوه . . أجل . . . أرجوك !

حملها بين يديه، وأراحها فوق الوسائد حتى ان شعرها انتشر كهالة سوداء حول وجهها . . عقلها كان يحذرها ان تحذر . . لكن مشاعرها كان لها إرادة مختلفة . .

ـ هل لديك فكرة عما أمرّ به من عذاب وانا أضطر للابتعاد عنك وأنت هكذا ؟

همست له :

ـ أحبك باتريك !

اتساع عينيها كان أكبر دليل على صدق مشاعرها، فقال محذراً :

ـ لا تنظري إليّ هكذا يا امرأة! فأنا لم أرغب في امرأة أو فكرت انني استطيع ان أرغب، كما أرغب بك الآن . والإغراء الذي اتعرض إليه لا يقاوم .

ـ اعلم . . . ان عليّ ان أطلب منك الرحيل . . لكن . . لا أظنني قادرة على احتمال بعدك عني بعد الآن .

تراجع لينظر إليها بحدة :

ـ أتعرفين معنى ما تقولين دايان ؟

ـ أجل . . مع انني أفضل الانتظار حتى نصبح متحدان فكراً وروحاً وجسداً .

فالرجل الذي قابلته في المعرض كان لا يزال غريباً لها . شخص يجب ان تتعرف إليه أكثر . . لكنها لم تعد تخشى التوقعات بل كانت تتطلع بشوق إلى اكتشافات جديدة لكل أوجه شخصيته . . وتدفق حبها له من أطراف أصابعها وهي تمسح شعره عن جبهته . . . نظرته إليها كانت ساخرة، مع ذلك حنونة رقيقة . . وقال لها مبتسماً :

ـ إذن يجب ان تتزوجيني على الفور .

ـ أنا لا أجدالك في هذا .

ـ إذن سأقوم بالترتيبات للزواج في الصباح .

ـ وسأنتظر هذا بفارغ الصبر .

لكن الأفكار عادت تتصارع في رأسها وبدا هذا على وجهها فسألها :

ـ ما بك ؟

ـ لدي وظيفة يجب ان استقيل منها أولاً . . وهناك ميتشل .

ـ لو اعطيتني رقم هاتف رئيسك في المنزل، لأنهيت لك الأمر دون جهد . . أما بالنسبة لميتشل . فأنا . . .

ـ سأتصل به وأكلمه بنفسي .

ظهر على فمه الاستياء :

ـ وهل هذا ضروري ؟

ـ أجل . . . فقد كان لطيفاً معي، صداقته كانت تعني لي الكثير خلال الأشهر الماضية . . وأنا مدينة له برد . . ولو انه رد سلبي !

ـ أنت محقة دايان . . أنت مدينة له بمخابرة شخصية .

صبت القهوة التي طلبها لها، بينما دخل هو الحمام، حين عاد، لامس



ذقنه .

ـ أنا بحاجة لحلاقة . . هل غيرت رأيك بالنسبة للزواج بي ؟

نظرت إليه مبتسمة :

ـ كنت أفكر ان علينا إبلاغ أبواي بقرارنا . و . . . أمي ستصاب بالذهول، طبعاً . . فأنت بالضبط ذلك النوع من الصهر الذي طالما حلمت به .

نظر إليها بطريقة غريبة :

ـ ألن تندمين فيما بعد ؟

ـ لا . . . ! وأنت ؟

ـ أنتِ حب حياتي ! تعالي إلى هنا لتنالي عقابك على مثل هذا السؤال السخيف .

كانت لحيته بالفعل خشنة على بشرتها، لكنها أحست بالذوبان بين ذراعيه، وأحست ان دمها سيفور متفجراً ! لسرعة جريانه في عروقها .

وكان هناك رنين عميق لصوته حين قال :

ـ أحبك دايان . . وما أحصل عليه أتمسك به .

ـ لا شيء سوى الموت سيفرقنا مرة أخرى ويجب ان نتقبل هذا كأمر واقع .

وكان هذا ما يريدانه معاً أكثر من أي شيء في الدنيا . . . ان تكون ملك كامل لباتريك، وان تعرف انه ملك لها . ولا شيء غير هذا يهم . . والذكريات الحلوة المرة يجب ان تتلاشى لتترك المجال لمستقبل حلو فقط، مع الرجل الذي تحبه . . .